الفرد والجماعة

✳



كل عمل عظيم في هذه الايام لا يمكن لفرد واحد ان يقوم به ، بل يجب ان تتعاون جماعة عليه ؛ فقدرة الفرد محدودة وحدها الاقصى لا يمكن ان يولد نتيجة عملية كبيرة ، لهذا كلما زادت الجماعة التي تعمل معا عددا وقدرة زاد الانتاج الاخير أهمية وخطرا •

ولكن العمل مع الجماعة يتطلب صفات جديدة مكتسبة منها ان يستطيع المرء جعل شخصيته تتلاشى في الغاية التي تسعى الجماعة لتحقيقها ، او ان يستطيع « عكس » ذاته في الغاية ، واعتبار نجاح القصد العام انه نجاحه هو وفشله فشله • ويجب ان يقدر العمل الذي يقوم به ، مهما كان مهما ، لا معنى له ان لم يقم الاخرون ايضا بأعمالهم مهما بدت بدورها غير مهمة • وهذه الاعمال معا مجتمعة تشكل الغاية المطلوبة كوحدة متكاملة لا كأجزاء متلاصقة •

ان العرب قد عانوا ولا يزالون يعانون الكثيرمن الفردية القوية ، اذ تظهر حياتنا ان الفرد منا يعمل على اساس أن « رجل الدنيا وواحدها » هو الذي « لا يعول في الدنيا على رجل » ، بمعنى ان الفرد يبنى اعماله على اساس انه لا يثق بالاخرين • وبدون الثقة المتبادلة لا يمكن للعمل الجماعي ان يتحقق ، واذا لم يتحقق العمل الجماعي لا يمكن لاي عمل عظيم ان يتحقق ، وبقينا اقزاما في عالم من العمالقة •

ان الفردية من نوعين احدهما ان يعمل الانسان لنفسه ولدائرة حياته الضيقة من اهل واقرباء وهو حتى في مساعدته لهؤلاء انما يفعل ذلك ليكسب مؤيدين له وانصارا في حين الحاجة ، وثانيهما ان يقوم الانسان بعمل كبير يؤلف حوله الجماعة ولكن تكون غايته من هذا العمل هي تمجيد نفسه واكبارها • وفي كلتا الحالتين لا نجد الروح الصحيحة ، وهي ضرورة ذوبان شخصية الفرد وتلاشيها في شخصية الجماعة او « عكس » شخصيته في تحقيق الغاية المطلوبة• كأولئك اليابانيين الذين كانوا في الحرب العالمية الاولى يجعلون في اللغم المائي آلة بخارية يجلس فيها رجل ويقود اللغم تحت الماء الى هدفه • فيتلاشى السائق حالما يصيب الهدف • فاصابة الهدف هنا هي الغاية الكل وليس الفرد الذي يحقق العمل •

وقد يصعب لاول وهلة ان يرى المرء ان عملا مثل هذا بالرغم من ذوبان شخصية المرء فيه وتلاشيها اثناءه انما هو في الواقع لمصلحة الفرد على نطاق واسع ، ولكن رؤية هذا ، على نطاق قومي ، يتطلب تثقيفاً وتدريبا من نوع خاص • ومدارسنا ان سعت لغرس هذه الروح ، روح العمل التضامني الجماعي البعيد عن الانانية الفردية بمعناها الضيق ، تكون قد عبّدت السبيل لتحقيق جلائل الاعمال ، وتكون قد ادخلت يدا قوية جديدة تعمل ايضا لخير البلاد هي يد الله التي وعدها ان تكون دائما مع الجماعة •

فؤاد حداد

اسكتلندا ـ جامعة ادنبرة

الشعر والخلود

للناقد الامريكي روبنسن جفرز

ترجمة سهيل بديع بشروئي

اعتاد الناس اذا تحدثوا عن الشعر ان يقولوا انه زهرة تنمو في عهد الطفولة من تاريخ البشر وتذوي كلما تقدمت المدنية ، وما زال كثير من الناس يؤمن بهذا الرأي لاعتقادهم ان الحضارة قائمة على العقل والاتزان ، اما الشعر فانه قائم على الخيال والعاطفة .

ويقولون ان الشعر احلام وان المدنية هي اليقظة التي تبدد تلك الاحلام ، وهذه نظرية ممتعة لو كانت صحيحة . ولكن عيبها الكبير ان لا صحة فيها ، فان الشعر الاغريقي العظيم بعد هوميروس انما كتبه « التراجيديون » في اثينا ايام بلغت المدنية الاغريقية ذروتها في القرن الخامس قبل الميلاد ، فلما تقهقرت المدنية انحدر معها الشعر الاغريقي . ولما انتعشت هذه المدنية من جديد في صقلية والاسكندرية عاد الشعر الى الانتعاش ، ومثل ذلك يقال في الشعر اللاتيني وان كان هذا الشعر اقل اصالة من سابقه لان الرومان كانوا اهل صناعة في الشعر لا اصحاب خلق وابداع ، ومع ذلك فان الشعر الروماني ازدهر عندما بلغت المدنية الرومانية قمتها ، عهد الجمهورية الاخيرة والامبراطورية الاولى ، ثم انحدر بانحدارها .

هذان مثلان اثنان من كثير ، وهما كافيان لينقضا هذه القضية المزعومة من اساسها ، دون ان يضعا قاعدة جديدة بدلا منها ، اذ الحق انه ليست هناك قاعدة اطلاقا او على الاقل ليس هناك ما يوحي بامكان وجودها ، فالشعر اقل انواع الفنون ارتباطا بالزمن والظروف لانه في غير حاجة الى مواد محسوسة ، والشعر الجيد يصدر من نفس الانسان وحواسه ودمه ، ولا احد يستطيع ان يتنبأ بصاحب ذلك الشعر .

وليس الشعر في حاجة الى مدرسة او موروث مباشر ولا هو في حاجة الى جمهور عظيم على خلاف ما يرى ويتمان .

ترى اي جمهور هو ذلك الذي يستمع الى كيتس في حياته ؟

ان عصرنا الحاضر هو عصر حضارة شامخة آخذة بالانحدار السريع فليس هو عصرا ملائما لاي نوع من الفنون ؛ وافكار الناس فيه متخاذلة ومشغولة بما يعترضها من منغصات ومشعثات ، ومع ذلك فليس هناك من سبب يحول دون ان يكتب احد الناس شعرا عظيما حتى في يومنا هذا ؛ اما ان يتعرف الناس الى العظمة فيه او لا يتعرفون فمسالة اخرى ، لان العظمة غريبة مفاجئة تصد من يقترب منها احيانا ، ولكن ليس هناك ما يمنع من ان يتعرف الناس الى هذه العظمة في الوقت المناسب .

غير ان ما يبدو لي مؤكدا هو ان هذا الشاعر العظيم الذي نتصوره ينشق انشقاقا تاما عن كل الاتجاهات المألوفة التي جرى فيها الشعر المعاصر ـ سيفهم ان «رمبو» كان شابا ذا عبقرية خارقة لكنه لا يجب تقليده وان قصيدة « اليباب » ـ مع انها من اجمل القصائد وابعدها اثرا في هذا القرن ـ تعين نهاية مرحلة ادبية لا بداية مرحلة جديدة .

وسوف يؤمن ان « جرارد هوبكنز » كان موهوبا متطرفا اثقل شعره بتنميق متعمد وعاطفة غير محتملة حتى يكاد لا يقراه الا المتحمسون له وانه ليس نموذجا يحتذى بل هو نذير باخطاء لا بد ان تجتنب .

ولادع هذه الامثلة جانبا واوضح هذه المسالة توضيحا كافيا فاقول : ان هذا الانسان (الشاعر) الذي ذكرناه لا بد ان يتجنب استحضار ذاته وثقافته الساذجة وسخرية طلبة العلم ، والمجازات البعيدة ، والغموض المتعمد وسائر هذه الظواهر الغالبة على الشعر المعاصر ، وسيكون شعره طبيعيا مباشرا وسيكون لديه جديد هام يقوله ، ومن اجل هذا السبب نفسه فانه يرغب ان يقوله بوضوح ، وسيحاول دائما ان يعبر عن روح عصره (وعن روح العصور كلها) غير انه ليس من الضروري له ان يشارك في اضطراب عصره

وفوضاه من اجل ان عصره مليء بالفوضى والاضطراب ، بل على العكس من ذلك ارى ان الموضوعية شيء ضروري في موقفه ، فان « شكسبير » لم يخلط « هملت » و « لير » بحياته الشخصية كما فعل « بيرون » في «تشايلد هارولد» ان الشاعر العظيم يرى مخلوقاته من جميع نواحيها رؤية موضوعية .

وشاعرنا المقترح يستطيع لتميزه الواضح من عصره ان ينفذ ببصره خلال موضوعه كما يستطيع ان يشمله بنظره . واظن انه لن يهتم كثيرا بمظاهره السطحية مثل « انوار النيون » و « معجون الاسنان » وغيرها من مظاهر هذه الحضارة المدنية وتفاهاتها العرضية الشائعة ، فهذه كلها تتغير سريعا اما الشعر العظيم فانه يتجه نحو المستقبل وصاحبه واعيا او غير واع يحاول ان يبقي شعره مفهوما على مدى الف سنة بعده ، ولذلك فانه يختار مظاهر الاشياء الثابتة والموضوعات التي لا ينالها العفاء السريع ، ومن ثم فانه لا يطمئن الى اللهجة الشعرية المالوفة في عصره وخاصة ان كانت صعبة مغلقة ، لانك ان كنت تشرح القصيدة للقاريء المعاصر فماذا يكون حظها في المستقبل ؟

لقد عاش في القرن السابع عشر شاعر اسباني اسمه « غونغوار » كان ذا مواهب بارزة ولكنه ابتكر مصطلحا شعريا غريبا ـ ابتكر رطانة من تراكيب مفككة ومجازات واستعارات بعيدة وفردية واعية وغموض متعمد ، وقد اصبحت هذه الامور اليوم منفرة غير انها في حينها كانت مثار الاعجاب في ارقى المجتمعات ، وجذبت اليها كثيرا من المقلدين ، غير ان الحال تغيرت واصبحت طريقة « غونغورا » مثارا للسخرية ولم يعد صاحبها يذكر الا لان اسمه اقترن بمرض من امراض الادب ـ (الغونغورية) .

والافراط في التنميق ـ الذي سمي في انجلترا Euphuism كان له مثل ذلك المجال ولقي ايضا مثل ذلك المصير .

ويبدو لي ان هذه الاتجاهات المتطرفة في الشعر الحديث (وهل استطيع ان اقول في النحت والرسم ايضا ؟) ليست الا امراضا من ذلك النوع ، فهي اشكال مستحدثة من « الغونغورية » وافساد الطبائع الانسانية عن طريق المدارسة والتلقين ، فليس الاخفاق في الابداع هو الذي يؤدي بشمس الفن الى الكسوف بل هو الانحطاط في الذوق وفي الطبيعة الناقدة والخالقة .

فان الخطأ في الفنان ـ وهو خطأ لا يعدو ان يكون عارضا او تجريبيا ـ يتلقاه المعجبون بالترحاب ويقبل عليه المقلدون، ومن تزدهيهم الكبرياء الوضيعة، ولسان حالهم يقول : « اننا نفهم هذا الفن الذي لا يحسن الرجل العادي ازاءه الا ان يفغر فاه [فنحن صفوة ممتازة] » وعن هذه الطريق ينضم الى القطيع اغنام جديدة . غير ان الشعر لم يترد في هذه الهوة كما تردى فيها فن الرسم والنحت بل لعله الآن ينهض للنجاة منها ، لان الشعر عماده اللغة وفي اللغة حيوية ذاتية تحفظ عليه وجوده الطبيعي .

ومن الوجهة الاخرى فانني لست ارى ان اجعل الرجل ذا الثقافة العادية حكما في امر الشعراء او في غيره من الفنون ، لان له انحرافاته في الذوق ، او لانه عادم الذوق اطلاقا وهذا شيء اشد بلادة من « الغونغورية » وهذا المثقف لا يحفل عادة بامر الشعر ، ولا خطر في ذلك ، لولا انه مع الاسف يبدي نحو الشعر احتراما مشوبا بالقلق فيربط بينه وبين المثاليات وبين عالم اسمى ، وربما استشهد بشعر « لونجفلو » في مناسبات جدية .

وهذا الاجلال الذي لا يواتيه طبع او سداد في الحكم هو مصدر للابرام والاملال والنفاق والشهرة الكاذبة وهو رديء رداءة الغرور الذي يتلبس بالصفوة الممتازة بل لعله اردأ منها لانه ابقى واثبت .

انا نفسي انظم الشعر غير اني لا اعطف على تلك الفكرة التي ترى ان على العالم واجبا نحو الشعراء او نحو اي فن آخر . ان الشعر ليس عامل تمدين بل هو على العكس من ذلك لان الشعر العظيم يتصل بالغرائز البدائية ولا هو اسناد في الاخلاق لانه ليس من الضروري ان يعدل اخلاق الافراد بل لعله لا يربي تربية فاضلة . انما الشعر عمل من اعمال الطبيعة جميل كالنسر او كشروق الشمس ليس عليك واجب نحوه فاذا احببته فاصغ اليه واذا لم تحببه فدعه وشأنه .

لقد سنح لي ، في الايام الاخيرة ان اتمعن رواية « ميديا » ليوربيديس فهالني ما اقرأ بعض الشيء ، عندما تذكرت ذلك الاجلال الذي يضفيه المثقفون على المآسي الاغريقية . فقد ظلت المأساة تعتبر منذ « ارسطوطاليس » عاملا اخلاقيا يطهر النفس والعواطف ولكن قصة « ميديا » ليست الا مغامرا مجرما يحمل سلاحه وليس فيها من العنصر الاخلاقي اكثر مما في القصص البوليسية الحديثة ، بل هي اشد وحشية ، وقل مثل ذلك في ارفع المآسي الاغريقية التي تدور على قصة « اغا ممنون » و «اوديب» . انها جميعا تقص قصصا بدائية عن الرعب ، اما الطباع السيئة والشرور والحماقة التي يتمتع بها ابطالها فانها ترجع على تلك العواطف المتدينة التي تتغنى بها الجوقة . غير ان ما يجعل هذه المآسي رفيعة فانما هو الشعر والاشكال الجميلة للروايات ، وذلك العنف المتطرف الذي

تولده العواطف المتطرفة ومعنى ذلك ان نقول ثلاثا انه الشعر : شعر الالفاظ ، وشعر البناء ، وشعر الادوار التمثيلية . هذه قصص نكبات وموت ، لا لتطهر النفس من العواطف بل لان الموت والنكبات مثيرة في حد ذاتها ، والناس يحبون النكبات ان لم تنزل بهم ؛ مثلما نجري لنرى بيتا يحترق او عربة تتحطم ، وفي النكبات مجال للخطب العاطفية ، فهي مركبة وطيئة للشعر .

ولنعد الى الشاعر العظيم الذي تصورناه يظهر من بيننا ، في هذا الوقت — لا شك ان هذا الشاعر سيتجنب المتخصصين وفئات الفونغوريين ، ولا يطمح بنظره الى تجاوب مستمد من ذوي الثقافة العادية ، اذن فلمن يوجه كلامه ؟ ليس الشعر (مونولوجا) يلقى في فراغ وان كان يكتبه اصحابه في عز لتهم ، بل هو يحتاج الى نوع ما من الجمهور يتمثله منشؤه في نفسه . لقا كان هنالك شاعر عظيم في عصرنا — اقول عظيم نسبيا ! ارلندي يدعى « ييتس » واجه هذه المشكلة نفسها ولكن حظه اعانه على حلها . ويتصل النصف الاول من حياته بالمتخصصين ، بالمتعصبين للكلتيه ، بالمنحطين ، بل بالفونغوريين انفسهم .

وكان « ييتس » بينهم خيرهم ، الا انه لم يكن حينئذ شاعرا عظيما فثار على وضعه ، وكان ذا ارادة وطموح ، دفعا به الى الامام فخلف رفاقه الاخرين يتساقطون على قارعة الطريق

عاد « ييتس » الى ارلنده ، وبحث في المسرح عن منطلق لنفسه من هذه الحال وقد كان في امكانه ان يجد ذلك المنطلق هنالك ، لو ان قدرته في الرواية كانت مثل قدرته في الشعر .

لان المسرح ان لم يكن صغيرا فلا يمكن ان تسيطر عليه جماعة صغيرة ، ولا بد من ملئه ان امكن ذلك ، وليس المسرح — بحال — مجالا لذي الثقافة العادية واذا كثر عدد من يسمع الروايات ويشهدها فان اثرها فيهم يكون عميقا اذا اشتد عنفها واستطاع المؤلف والممثل ان يجعلاها جميلة . انها عندئذ ترسل اثرها بعيدا في اعماق المتفرجين بل ان ذا الثقافة العادية قد ينسى حينئذ ثقافته ويجد في الرواية متعته على الرغم من انها في قالب شعري .

غير ان « ييتس » وجد الخلود في طريق آخر اذ لم يكن كاتبا مسرحيا من الدرجة الاولى ولكن كان رجلا ذا ارادة صلبة لا تقهر ، فلما تغير الحال في وطنه كان على استعداد للتغير .

وفجاة في ذلك الزمن السحري حين تتحول البلاد الى امة ذات قومية كان من حسن حظ ارلنده ان كان فيها شاعر عظيم ، فتعاونت حاجتها الفريدة وارادته الفذة على انجابه .

غير ان الشاعر العظيم الذي تصورناه ليس من الضروري ان يتوقع كل هذا الحظ . فقد يكون مفتقرا الى الارادة المكافحة التي تدفع به مع الزمن وتكيف حسب ادواره ، ارادة كارادة « ييتس » ، او تتاخر فرصته ، فاذا كتب رواية شعرية عظيمة فربما لم يقدر له ان يراها تمثل على مسرح لانها مسالة تعتمد على الحظ ، وتجيء على غير ما يتوقع . وربما لم يكن من المحتمل ان تحس بلاده بحاجتها الى شاعر قومي عظيم كما احست ارلنده ، او كما احست المانيا اثناء يقظتها العارمة فانجبت جوته . ومعذلك فان شاعرنا لا بد ان يحس في نفسه بجمهور جدير به يحفزه الى العمل . اي انه ينظر الى المستقبل . فقد قال « شارلس لامب » : « ماذا يهمني من الحاضر وانا انما اكتب للماضين » .

اما شاعرنا فانه يعكس هذه القضية ، نعم ربما كان من المستبعد ان يكون له قراؤه بعد الف عام ، غير ان ذلك ليس امرا مستحيلا ان كان هو في الحق شاعرا عظيما . وهؤلاء القراء هم الجمهور الذي سيخاطبه دائما . فاذا استمع اليه الحاضر واصغى الى ما يقول فخير وابقى . ولكن لينفي الحاضر من نفسه فلا يدعه يستحوذ عليه لان امره معقود بالمستقبل وما اقول هذا مستظرفا مستملحا وانما اقدم نصيحة عملية .

وهكذا يتخيل شعره ويفرقه عما هو موهم موهن ، فيعزل نخالة الزمن وينحي المادة التي تحتاج الى شروح وحواشي . ومادة الشعرهي الاشياء الابدية — الاشياء التي تتجدد ابدا كما يتجدد العشب والعواطف الانسانية ، وان من يتحدث عبر فجوة مداها الف عام يدرك ان عليه التحدث عما يبقى — ويبقى واضحا — والا فمن هو الذي سيستمع اليه ؟

غير اني اسمع فتى يصرخ قائلا : « ما الخير الذي اجنيه حين أتصور نفسي شهيرا بعد الموت ؟ فان قدر لي ان انال شهرة واكسب جمهورا فليكن ذلك الان ، اذ انا قادر على ان احس بوجودهما . » ويبدو لي ان هذا الفتى ينطق عن جهل . فان مقابلة الشاعر والتحديق في وجهه ومطاردة المتبطلين له ، ومتصيدي التوقيعات والمعجبين الظامئين — ان كل هذه منغصات مؤسفة . وهي هدامة ايضا اذا اخذت ماخذ الجد ، لانها تمتص الحيوية وتحيلها الى فردية وتحطم التلقائية وتلوث منابع النفس . اما الشهرة بعد الموت فانها لا تؤذي ، بل لعلها احق شيء جدير بالاعتبار .

الخرطوم — سهيل بديع بشروئي

زرعنا الدنى

٥

بخطو جريء زرعنا الدنى
بحفنة من غمزات السما
بالنار .. بالنور
عجنّا حبّنا
من دربنا مرّ بنا
حتى النمل سمع دبيبنا
عاتبتنا الأطيار
والزرع خشّ لنا
والشوك نما .. نما
على حوافي أرضنا
من تمرّد أصواتنا
من هبّات أوتارنا
بنينا أوطاننا
هيكلا واحدا
نتيه به على أجدادنا
من حبّات حروفنا
ننسج الجديد
في حياتنا

* * *

كل حشرة مرّت بنا
كل من كان هنا
يحبو في دربنا
يغدو . يروح بسرّنا
من ترى في حياتنا ؟

نرفع القدم . نحطّم بها الأديم
ندعس الحشرات
من قديم كانت تعشش في بيتنا
عادت تعشش من جديد
تنتحي زاوية من جوّنا
تنخر في حيطاننا
تفتح طاقات . طاقات
تزأر الرياح
تسخر من بيتنا
تجول . تصول في أرضنا
كالأفعى . كالسراب
نلحق بها . نلحق بنا
تسدّ عنا الحياة .
نعود الى بلادنا
نسمع نداءات الزمن
نشدّ كل ذرّة الى صدرنا
يخنقنا التراب
نسوّيه بأقدامنا
نكبّ على المعاول
نحفر بالأنامل
كلّ درب من دروب بلادنا

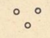
ثريا ملحس



الـغـل

قصة عراقية

بقلم مهدي عيسى الصقر



كنت واثقة انك ستجيء يوما » هذه الكراسي الجديدة لم تكن هنا قبل اربع سنوات .. وهذا الدولاب كان موضوعا قرب النافذة كما اتذكر ، وفرشة السرير تغيرت ايضا .. اما منضدة الزينة فهي نفس المنضدة القديمة (كنت واثقة) وراحت تحدق في عيني لفترة من الزمن .. ثم انزلت ذراعيها عن كتفي وابتعدت قليلا .

ـ هل تخاصمت معها ؟

كان سؤالها مفاجئا .. كيف ادركت ؟

ـ من تعنين ؟

فتظاهرت بانها لم تسمعني وكررت نفس السؤال :

ـ هل تخاصمت معها ؟

لا فائدة ، حياتها مع الرجال جعلتها تدرك كل شيء من عيونهم .. انها تشم الحوادث . واحسست برغبة في ان اصفعها ، لقد كشفتني بسرعة ..

فقلت وانا اتأكل غيظا :

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لانك تعود .. وهذا يعني انك اما ان تكون مللتها او انكما تخاصمتما ؛ لكن لو كان الملل هو الدافع لمهدت لزيارتك بالسؤال عني اولا (الفاجرة تحلل كل شيء . لقد كبرت قليلا .. لكنها لا تزال جميلة .. انها اجمل من قبل) . انت ثائر عليها فجئتني تعدو انتقاما منها .. انا الان لا شيء بالنسبة اليك .. مجرد امراة كأي امراة اخرى ، وقد جئتني دون الاخريات لانك تعرف الطريق الى بيتي .. (اللون الاخضر ما زال لونها المفضل .. كل شيء اخضر حتى الستائر .. لكن ماذا يهمها اذا كنت تخاصمت مع زوجتي ام لا !؟) لقد ادركت ذلك منذ وقع نظري عليك .. كنت قد اتخذت قرارك قبل ان تدخل عندي .. ولعلك تصورت كيف تخلع ثيابك .. واين تعلق قميصك .. وفي اي جهة من السرير تنام انت .. عمل منظم .. اهي تستحق كل هذا العناء ؟

ـ ماذا ؟ من ؟

قلت ذلك لمجرد ان اقول شيئا .. اردت ان اسمع صوتي .. ولم تعبأ بما قلت (انت هنا بسببها هي .. تريد أن تثير غيرتها .. تريد ان تثيرها لتفكر فيك .. انت عندي لانك تهتم بها .. والا لماذا اعصابك ثائرة لماذا جئتني بعد النزاع مباشرة ؟) ماذا تقول هذه المراة ؟ هل جئت لاثير غيرتها ام لاحطم القيد وابدد السأم !؟ انها تهذي . جئت لابدد السأم . لا يهمني ان تفكر في .. لا اريدها تفكر في .. اريد ان اتحرر من كل شيء .

هل ما زلت مصرا لكي تتلوث وتذهب بعد ذلك لتطلعها على كل شيء كالمجنون ؟ ؟ (انها تنفذ الى اعماقي) تعال .. كيف صبرت اربع سنوات ؟ هل انجبت اطفالا ؟ لا اطفال ؟ ذلك جنون . الم تقل لي مرة بانك لن تتزوج .. لن تربط نفسك .. اذن كيف ربطت نفسك ؟ ارى الحيوان يستيقظ في عينيك .. انك تتذكر ايامك الماضية .. لقد جئت غاضبا لكن ما يكاد جسدك يلامس جسدي حتى تنهار . هل استغل الفرصة واطلب منك ان تلعن زوجتك وتعتذر لي عن الاهمال الذي لقيته منك ؟ هل استغل الفرصة قبل فوات الاوان ؟ اصمت ؟ تريدني اصمت ؟ هل يخيفك صوتي ؟ حسنا .. ساصمت رحمة بك ...

والان ايها البطل ، البس ثيابك بسرعة واذهب ارو لها كل ما حدث .. حطم اعصابها بلا رحمة .. حذاؤك هناك تحت السرير .. ستظل تكرهني طول حياتك .. ستحس بالندم وتكرهني .. لا تشد ربطة العنق هكذا .. ماذا تريد ان تخنق نفسك ! ؟ لا تكن عصبيا .. كنت اعرف انك ستحس بالندم .. لا تخرج هكذا سيظن الناس انك مجنون .. ان شعرك مضطرب .. المشط هناك فوق الراديو .. قف لحظة .. انظر الي .. انت متعب لكنك لم تهدأ بعد .. ما زلت غاضبا منها .. اذهب وارو لها كل ما حدث بالتفصيل وبلا رحمة .. ولا تنس ان تقول لها انك ...

أف .. عليها اللعنة .. الهواء في الخارج ابرد .. احسس بقشعريرة تسري في جسدي .. تسري في العظام . ذلك الخادم الوقح ينظر الي .. اشعر بنظراته تنخر في ظهري .. ماذا فعلت ؟ ؟ ما ذلك الشعور الذي انتابني وانا مع الفاجرة ... ؟ لو انها اصرت ـ في تلك اللحظة ـ هل كنت اقوى ؟ هل كنت اقوى ؟ اما كنت لعنت كل شيء من أجلها ـ لو انها اصرت ؟ كنت اتحاشى التجربة .. اتحاشى التجربة فقط .. والآن جئت احطم القيد فمسحت الغبار عن قيد آخر كان يشدني الى الوحل .. يا للخزى .. لست سوى حيوان ..

لماذا ينظر الي ذلك الصبي ؟ وهذا الكهل ؟ وتلك المرأة ايضا ؟ هل هناك شيء غريب في وجهي ؟ والآن هذا الخط الطويل من السيارات .. متى ينقطع ؟ من اين تاتي كل هذه السيارات ؟ لاعبر الشارع .. لا استطيع الوقوف في مكان واحد .. يجب ان اتحرك .. اتحرك باستمرار لاشغل نفسي .. ما هذا !؟ ان السيارات تتكاثر ... والناس يتكاثرون ايضا بقربي .. يريدون ان يعبروا الشارع لكنهم يخافون .. يخافون الموت تحت العجلات .. جبناء .. يخافون كل شيء .. وانا ايضا اخاف كل شيء ، واخاف نفسي اكثر من كل شيء .. اخاف ذلك الحيوان الذي القى قناعه امامي اليوم .. هناك فجرة .. لحظة واحدة وساكون في الجانب الآخر من الشارع .. هكذا ـ بسرعة ! ـ من بين السيارات .. ليس من المعقول ان يدهسني ..

كاد يدهسني لو لم اقفز ! ذلك السائق الابله ! عشرات العيون في ظهري الآن .. يقول اني اعمى .. انا اعمى ؟ هل هو خائف على حياتي ام يخشى ان يسجن ؟ ؟ (لقد اندفع مثل المعتوه امام السيارة ..) لكن من يصدقه ؟

هذا الشارع اهدا .. ماذا فعلت ؟ الرائحة اللعينة ما تزال تزكم انفي ، واحس كأن تلك الاقذار تغطي جسدي كله .. يجب ان ابدل كل هذه الثياب .. كلها حتى الحذاء .. وافرك جسدي حتى تحمر البشرة .. لكن الشعور بالخزي كيف اغسله ! ؟ كيف ابدله بشعور آخر ؟ كنت اهرب من التجارب فقط وقد ادركت ذلك الفاجرة .. ادركت كل شيء ، وازاحت الغطاء عن اعمق اعماقي (كنت واثقة انك ستجيء يوما » . اذن هي كانت واثقة ؟ واثقة من الحيوان الكامن في داخلي .. آه ايتها الـ ..

هذا الزقاق فارغ .. لا احد يحدق في وجهي هنا .. هناك اطفال يلعبون قرب دارنا .. ماذا تفعل هي الآن ؟ تستمع الى الراديو وتقرا ، لكنها لا تصغي الى الراديو ولا تفهم شيئا مما تقرا .. انا اعرفها جيدا .. غاضبة في صمت .. غاضبة لكن تحاول ان لا تبدو كذلك ..

تماما كما قدرت .. هذا صوت الراديو ينبعث من الغرفة .. صوت مزعج .. وها هي تحاول ان تقرا .. تتظاهر ـ بكل سذاجة ـ بانها تقرا .. ان هدوءها يثير اعصابي ، وصخب الراديو يثير اعصابي ايضا .. لاطفيء الراديو .. هكذا احسن .

« انت مريض ان وجهك شاحب .. شاحب جدا .. لماذا لا تنام قليلا » آه هي السبب في كل ما حدث .. هي السبب . الم اذهب نكاية بها ؟ ؟ الم اذهب تحديا لها ؟ ؟ تحديا للقيد ؟ ؟ فلتتحمل جانبا من العذاب .. فصحت بها : اساليني اين كنت ؟

فحدقت في وجهي ثم تمتمت حذرة : ليس من عادتي ان اسالك اين كنت .

كنت مع امراة ! هل سمعتني ! ؟ قضيت معها اكثر من ساعة .. امراة جميلة .. هل اصفها لك .. كنت قد قضيت معها ثلاث سنين قبل ان اعرفك ـ هذه حقيقة كنت قد اخفيتها عنك ـ ثلاث سنين وقد عدت اليها الآن .. انا لا اريد ان اتقيد بأحد .. لا اريد .. لقد عدت اليها .. ونمت معها .. اتسمعين ما اقول ! ؟ نمت معها .. لماذا تحدقين في وجهي هكذا ! ؟ لماذا تقفين جامدة ! ؟ ما هذا البرود ! ؟ اليست هي امراة ! ؟ الا تشعرين بالغيرة ! ؟

انت مريض ان وجهك شاحب جدا .. استلق هنا على السرير . فاشتعلت اعصابي . لا اريد .. لا اريد .. امنعي شفقتك عني .. امنعي عطفك عني .. انك دائما تحاولين ان تشعريني بانك تضحين من اجلي .. بانك افضل مني .. بانك متفانية في خدمتي وانني اناني احمق . دائما .. دائما تحاولين ذلك .. انا لا اريد عطفا من احد .. لا اريد تضحية من احد .. انك تريدين ان تقيديني .. تريدين ان تربطيني اليك .. وقد حطمت القيد .. حطمته اليوم ! كذاب كذاب كذاب كذاب ! ! ذهبت لتحطم القيد ، لكنه تفتت قبل ان تلمسه .. قيدك المزعوم تفتت قبل ان تلمسه .. واحسست بالارض تتحرك تحتي .. واصفر كل شيء وبدأ يترنح حولي .

انت مريض .. يجب ان .. ولم اشعر بشيء بعد ذلك ..

وعندما فتحت عيني وجدتها جالسة على الارض وراسها على حافة السرير تنظر الي بعينين قلقتين واحسست بصداع شديد . احسست براسي ينفجر .. فرفعت يدي الى جبهتي واخذت اضغطها لعل الالم يخف .. ووقعت عيني على ساعة الحائط فوجدتها في الثامنة وخمس

دقائق .. وحاولت ان انهض فقد خيل الي – اللحظة قصيرة جدا – انها في الثامنة وخمس دقائق صباحا وانني تاخرت ساعة عن موعد العمل .. لكن الظلام في الخارج جعلني ادرك ان الوقت مساء – وتذكرت كل شيء .. بعد السادسة خرجت غاضبا من الدار .. وقضيت ساعة تقريبا هناك .. لقد كنت نائما لاكثر من نصف ساعة .

كنت اتمدد على السرير ، واحسست ان حذائي ليس في قدمي . لقد انزعتني الحذاء والجوارب ايضا . ورايتها تنهض ، ثم عادت وبيدها حبة (اسبرو) وقدح ماء .

خذ هذه الحبة ليخف الصداع .

وفكرت فجاة : كم تتعذب هـذه المراة واحسست بالعطف والحقد على نفسي ، وشربت الدواء سريعا لكي لا يطول وقوفها . وودت ان ابكي من اجلها – وكأن الذي يعذبها انسان آخر ، غيري انا ، انسان متمرد لا سلطة لي عليه . واحسست برغبة في ان اواسيها ، ان اقول لها كلاما طيبا ، انا ..

اششش .. لا تتكلم .. حاول ان تنام .. ان الكلام يزيد الصداع .

ووضعت يدها على فمي ، فازحت يدها برفق دعيني اتكلم والا سوف اختنق .

الافضل ان تنام .

انا اناني احمق ، فلننفصل رحمة بـك .. انت تتعذبين وانا السبب .. اني احس ان هناك قيدا غليظا يشد على عنقي ويكاد يخنقني .. قيدا احاول ان احطمه لكنني لا اعرف كيف لا اعرف ما هو ذلك القيد . طالما تمنيت ان اسافر ، ان اذهب بعيدا .. بعيدا جدا .. اتحرر من حياتي الرتيبة المملة هنا .. – لكن من يدريني انني لن احمل قيدي معي – ان السام يقتلني ، وقد توهمت اليوم ان مبعثه هو الرباط الذي يشدني اليك فذهبت لامزقه لكنني – يا للخزي – ازحت الغبار عن قيد كان يشدني في الماضي الى الطين . لقد ضعفت هناك ، وعدت ذلك الحيوان ، وقد ادركت (هي) ذلك . لا ليس رباطنا هو القيد . ان السام لا يزال يجثم كالكابوس على صدري .. كم انا خجل من نفسي .

حاول ان تنام ليخف الصداع .

انا احسن الآن .. لقد خف الالم .. اني اشعر بالراحة وانا اعترف لك بكل هذا .. كدت العنك اليوم .. كدت العن كل شيء امامها ، لكنها لم ترد ان تسلبني كل شيء ، او لعلها لم تشا ان تزرع في نفسي بذور حقد كانت تدرك مداه .

وشعرت ببعض الارتياح ، وخف الصداع قليلا ، كانت زوجتي ، طيلة الوقت ، تنظر في داخل القدح وكانها تبحث عن شيء ضاع في الماء القليل الذي لم اشربه . لماذا لم تغضب ! ؟ لماذا لم تشعر بالغيرة ! ؟ لماذا لم تصرخ في وجهي ! ؟ لماذا لم تترك الدار ! ؟ لماذا تلقت النبأ بكل هذا البرود ! ؟ لكن هل ذهبت لاثير غيرتها ؟ لا . لكن يهمني ان تغار علي . يهمني جدا ان تغار علي . اذن لم احطم شيئا ولم اثر غيرتها . خسرت كل شيء ، حتى هذا العزاء . واحسست بخيبة .. خيبة من يعود بعـد سفر شاق طويل ليجد اهله قد ماتوا جميعا . وحاولت ان اقرا شيئا في عينيها ، لكنها لم تنظر الي . كانت لا تزال تبحث عن الشيء الذي ضاع منها داخل القدح . ثم سمعتها تقول دون ان ترفع راسها .

لا تسالني .. حاول ان تنام .. سنتحدث فيما بعـد .

وتركت الغرفة دون ان تنظر الي ، ودون ان تمكنني من النظر في عينيها . وبقيت وحدي . كانت خيبتي كبيرة فلم ارد ان افكر فيها . واخذت احدق في السقف ، ووقع بصري على المصباح وسالت نفسي ما هي الكهرباء ؟ وتذكرت – لمجرد الهروب من خيبتي – مقالا عن تناسخ الارواح كنت قد قراته قبل يومين . ولاحظت ان اشعة المصباح اخذت تذوي – كما يحدث احيانا قبل ان ينقطع التيار – وتصفر رويدا رويدا . وماتت ، ثم – لا اعرف كيف – رحت في نوم عميق .

العراق – البصرة

مهدي عيسى الصقر



يكتبها
الياس خليل زخريا

غبار المغيب

يمد عينه في ممر الحي على الرمل ،
على حبات الرمل ، والواح الخشب ، وحجارة
البناء وغبار متطاير يتمحى في غبار المغيب .
يطوّف زاوية عينه في جوانب البيت الجديد .
ويطل من الارض الى الشرفة الناتئة .
... الى القمرية المقفلة مع المساء في الرواق المتشعب
وينتصب وجهه في صدمة الجدار الابيض العالي .
ويتأرجح بين مناشر، السطح، وملتف السلم، ومنور الادراج
ويحط على الارض ، على مواقع الاقدام في التراب الناعم

لعلها مرت مرورها القريب من هناك ...!
لعلها محتبسة على الامل في بيتها المنزوي
لعلها تتفتح في تلك النافذة المظلمة الموصدة
لعلها تطل على المدخل من فوق السطح الضيق
لعلها تتنفس من خلال الجدار الواقف الصامت
لعلها اشتاقت الى حكايات السمر ، بعد
طول الزمن، فخرجت وحدها تستقبل الليل،
وتحبك فيه خيوط القمر على جدائل العمر الموحش

ودفع قدميه على موعد الضجر في الطريق الواسعة ومضى
ولكن يدا من اصابع الامل شدت به فعاد
ثم شدت به فكأن زلقت به عينه وقدمه
وخطا الخطوة في الممر الى بيتها على الحجارة والخشب
العتيق

« ... تقدم ... اطرق بابها بيدك ... »
« ... سائل عابر يسأل عن باب ... »

وهمّ ... وكأن في حنية قلبه مطرقة تدق
وبابا يفتح وامرأة تأخذه اقتلاعا وتغيب ..
وخطا الخطوة فاذا بقبضة عنيفة تنتزعه الى الوراء
... لعلها ليست وحدها في بيتها الواسع
... لعلها تنام ... لعلها تسهر ...

لعلها تمتص دمها من شدة الخيانة
لعلها مطمئنة في ليلها من شدة الوفاء
لعلها تتعطر في طيبها من الطيب
تتجدل ، وتتخصل ، وتلف خيط الامل اللين
على خصرها اللين
لعلها تخاف ان تفتح ... تخاف ان تسمع ...
... تخاف ان تضيء الضوء ، فيدخل اليها
الليل في اشباح الزمن

واستيقظ فيه عزمه ، وارتدت به قدمه ،
وانكفأ به وجهه من الحياء ، من الخوف والحياء
وسار في رصيف الحي على ضوء القمر من
حانوت الى حانوت

ينظر في كل شيء ... يتمهل عند كل شيء
يعد اسلاك الكهرباء ، ومصابيح الاعمدة
يقرأ كل ما كتب في الحي على ملون الجدران
ويحسب في الحساب الطويل احرف الكلمات
يطيل الحساب ، ويطيل الطريق ، ويطيل الامل ،
ويطيل النظر من بعيد في حواشي ذلك البيت الهادىء

الظل الاسود

نظر في عقرب الساعة المتصلب المتباطيء
وسار يسحب ظله الاسود ، على مضايق النيل
كانت مصابيح الطريق خرساء متعبة ...
وبقايا من العناكب تتهدل حولها على الغبار
وكان على راس السنديانة الخضراء او الصنوبرة
الخضراء المشرفة على بيتها في الحي
قليل منسي من لفحات النهار وجدائل القمر
واقترب من الشجرة ، من ساق الشجرة ، العالية الضخمة
ووقف امامها ، يتأمل الليل والنافذة الموصدة ، والزمن
المنتظر ... وواحدا هائما ، يخاف اذا تحركت به
لوحة ظله ان تتحطم على الواح الارض نفسه

شبح راكض في سرداب الخـيـال
وجنح بـه في مهاوي الشوق خياله
حجر ثقيل قذف به الدهر في مجاري الانتظار
كان ينتظر ، عند الصنوبرة ، عند السنديانة ، خبرا
مبهما ، يصبه اليقين على مسامع التلفت
اشلاء تتجمع بعضها على اشـلاء بعض
الشجرة الواقفة في عينه كانها عنوان الحكاية
الدامية في كتاب الشوق
المدخل الصامت كانه معبر الليل الى
ملتقى الامل الهـارب
القمر المتسرب على ضباب السواد كانه
الخبر السارح من افواه الغيب الى مسامع الضجر .

في الحي، في شرقي الحي ، الى تلـة الرمـل ، امراة
ساهرة في شرفة بيتها الواسع
ضوء اخضر يتنفس في الستائر الشفافة الخضراء
... ودفع قدميه الى الامـام ...
... لم يكن عنده حائط واحد يتكيء اليه
اسند يده المتعبة الى عمود الطريق الاسود
ثم اكمل سيره على مهل كانـه يخاف اذا ما اسرع ان
تسقط من بين يديه مصفاة الامل في ميزان القدر

كـل شيء في الحي يتحرك بـه على مهل
ويعود فيتطلع مليا في منافذ البيت الحائر
ثم يغمض على الضجر عينه ، ثم يفتح على الضجر عينه
ثم يرى الضوء ، شبـه الضوء
... قد رف في عباب العتمة
ومالت في يد الشوق ستارة المغيب

جوع النوافـذ

•

انفتحت فجاءة نوافذ البيت المقفل ، وخرجت وحدهـا
الى مطل الشرفـة تسرح باصابعهـا المرحة المرخي من
جدائلهـا المجعدة
وانزوى في مصلبة الحي يقلب النظر في منفرج الموعد
لم يكن بينه وبينها من موعد
ولكن الشوق الدائم منابت متواصلة للمواعيد المتواصلة
الـدائمة
ونادت من على الشرفة ، صاحب الحانوت يرسل اليها
قليلا من الخبز وقليلا من الثمر وبعض الشراب
كانت جائعة تريد ان تاكل ... عطشى تريد ان تشرب
وكان ضوء القمر الهادىء يتسرح على خصل غدائرها المفلتة
ونادت جارتها في البيت القريب المطفأ ...

ثـم راحت تقهقه عاليـا في مرح الـزمن
وسألتها ما اذا كانت قد رات احدا زائرا في الحي
.. لم تر احدا ، الا هذا القمر المتفتح على ضباب الليل
منذ اوائل الغروب وهو يطل براسه على الشرفة .
يتسرق السمع كانه اضاع شيئا من صدره
خائف يتوارى ، في ظله ، ظله

... اين كنت ... ؟!

... وقهقهت ملء الحي ...
... وقهقهت صديقتها ، اعلى ، فاعلى ...
وغرق البيت غرق الحي في افواه الطيب ...
وتنفست تنفس المنتصر
« ... مسـكين ... !! »
« ... من ...؟! .. من هو هذا المسكين ؟!
... هذا القمر ... صاحبنا القمر ... الذي لا ينام الا
اذا اوصدنا في وجهه اخشاب النافذة
وهرولت الى داخل البيت تقفل الشرفة وترخي الستائر
ومالت على الضوء الستارة الكبيرة الخضراء
واسند راسه على كتف الهواء

ونظر في اعلى العمود فوق في السماء يحصي الاسلاك
ما هي هذه الشرارات الخفيفة المتطايرة فوق راسه ؟!
سلك متقطع على سلك .. لهبة متشعبة في لهبة
وعلا في الحي صراخ اهل الحي
وخرج بعض النـاس الى مطـارح الحديث
في الشرفات والنوافـذ
واسرع من كل صوب صوت النجدة
وتنادى في الطريق من تنادى ...
وتسلق العمود ، من اهل النجدة من تسلق

اما الشرفة الخضراء فقد ظلت مضاءة مقفلة
يتنفس او كانه يتنفس من ورائها الطيب الاخضر
ومضى وعينه كلها في ناحية الغروب على الضوء الاخضر
تراخى فيه على المغامرة عزمه ...
جبنت همة نفسـه فانكفأ على وجه الليل امله

كاد قبل الضوء يقتحم مداخل الليل الصامت
فلما اضاءت ستارتها الخضراء
ترامى ليله الطويل على فتحات الرصيف المتشابك

نام تلك الليلة على جرحه
... عض في جرحه جرحه ونام ...
لم يكن عنده لقمة خبز ولا حبة ماء
ولا كتاب اخضر ، ولا كلمة محفورة على الحائط
يعدد حروفها في الضجر حرفا حرفا
لم يـكن عنده تلك الليلة الا قليـل

حسنك

٥

رضيتِ صلاتي أم أبيت فهـا أنا ... لحسنك أجثو لا لذاتك أسجدُ
ازاء جمال فيـك عبـداً ترينني ... أذلُ ، ولكنـي ازاءك سيِّـدُ
أراني لحسن فيك لا لك خاشعاً ... فما أنت بالمعبود بل أنت معبدُ
وانت اناء الحسن لا الحسن ذاته ... يُقيم الى حـين به ثمّ يفقـدُ
ويظهرُ في حسناء غيرك للورى ... ويُعبدُ فيها مثلمـا فيك يُعبدُ
اذا مات فيك الحسن لست بجازع ... بغيرك في هـذي الحياة سيولدُ
أطيف به في أي شكل مجسَّداً ... وأعبدُ روحاً منـه لا يتجسـدُ
يروعك منّي عابد" في صلاتـه ... اباء وفي تقواه عـز وسؤددُ
ترفعت عن نهج الصعاليك في الهوى ... فما برقع اللـذات منّي التودُدُ
أصارح من أهوى بوجه رغائبي ... وغير سبيلـي للنعيم التزهُـدُ
وما كنت ممن يُصعدون ذبائحاً ... مجامر حبّي في الحشى تتوقّدُ
أعرّي شعوري من تقاليد منطقي ... وسيَّان هاد قيل او قيل ملحـدُ

فـارس سعـد

من الغبار على حذائه الاسود
وقليل من القمر على اهدابـه المتعبة
وقليل قليل مـن الستارة الخضراء
على ستائر نفسه الخائفة الحائـرة

الضوء الاخضر

•

... وحتى اليوم ...
وبعد الف مدخل مهد في معابر الحياة لاقدامه ومدخل
ما زالت تلك الستارة الخضراء تتشرع على صواري شوقه
وما زال صوتها يرن في اذنه
وما زال ذلك الشاعر الطائف الحائر يسأل
طول الليل ، وعرض النهار ، عن ضوء اخضر
... عـن امرأة تحب اللون الاخضر
... عن قنديل من الايمان صبت فيه اصابع القمـر
من نوافذ الصنوبرة الخضراء املا اخضر وشوقا اخضر

اشترى لها في حلمها المثمر ...
في بيتها الوارف المثمـر
... رداء اخضر وحذاء اخضر ...
وعقدا من الزبرجد الاخضر الاخضر
وابريقا كانه خميلة الربيع في الجبل الاخضر
وزنارا من منول الضوء لو عقدته على إضلاع
نفسك لاخضرت بك وبنا مناهل الزمن الاخضر

الياس خليل زخريا

هل يتحرر الشعر العربي من قيود الوزن والقافية

بقلم السيدة ادفيك جريديني شيبوب



لا يعدم المجتمع ، في الخين والحين ، مشكلة تستدعي اهتمام الاوساط الادبية او الفنية او الاجتماعية . فيقلبونها ، على نحو ما تقلب المشاكل ، درسا وتحليلا ، وتبادل وجهات نظر .

وثمة مشكلة ادبية احيطت في الآونة الاخيرة بعلامة استفهام : احتدم حولها الجدل وكانت مدار بحث الندوات الادبية في لبنان ... والمشكلة هي :

« هل يتحرر الشعر العربي من قيود الوزن والقافية؟»

فما هي اوجه النظر الرئيسية في الموضوع وما موقفنا منهـا ؟

* * *

قال بعضهم : ان العرب بطبيعتهم قوم محافظون ، يستهويهم القديم ويهزهم شدو الوزن وشجوه وينقلهم الى اجواء الطرب والنشوة التي لا تتيسر في الكلام المنثور ، مهما عذب جرسه واتسع خياله وتالقت صوره ..

ومن هنا كان تعريفهم للشعر ان يشترط فيه الـوزن والقافية ، ومن الصعوبة تنازلهم عن هذا الراي واقناعهم بخلافه ، ذلك انه جزء من تقليدهم اصيل ، يتشبثون باهابه ويتعصبون له بايمان عنيد ، ولا يتسامحون بتقويض اركانه .

وعارض آخرون قائلين : بل ان في الشعر الكلاسيكي المقفى جوا مصطنعا قلما تتوافر له مقومات الشعر بمدلوله الحديث المتعارف عليه ، من كلام جزل وشعور رهيـف وموسيقى .. كأن ينصرف الشاعر بوعيه ــ كل وعيه ــ الى ضبط المقاييس ويبذل الجهد المضني كي تستقيم له شروط الخليل كلها ، وفي هذا عزوف عن روح الشعر الى هيكله ، فيتحكم اللفظ بالمعنى ، وتتنافر في القصيدة لحمتها ويحمل الشاعر مكرها على استعمـال اللفظة المقعرة والناشزة والعويصة ، مما يبرا منه الشعر وما ذلك الا استجابة لحكم القافية الصارم ... وهكذا قلما تاتي القصيدة الا من بـاب « النظم » العقيم الذي اتخمت منه بطون الدواوين القديمة والحديثة دونما طائل ..

ومن مطمئن على ان هذه الفورة من الشعر المنثـور ليست الا مؤقتة ، تفشت بالعدوى ، كما تتفشى الحمى ، ولعلها من مظاهر العجز الفني وحسب ، وهي لا تلبث ان تتضاءل وتزول بزوال هذا العصر .

هذه اهم الاراء في الموضوع الـذي نحن بصدده ، وهنالك آراء اخرى غيرها تؤثر الاعتدال وعدم اقتحـام المعركة ... نتوقف عندها لننتقل الى شق ثان من البحث.

* * *

سجل شعراؤنا منذ مستهل القرن خروجا ملموسـا عن الوزن القياسي . منهم من فعل ذلك بتحفظ مبقيـا حينا على السجع كالريحاني ومنهم من كتب الشعر المنثور في مطلق تحرر كجبران وسواه . وعد شعر هؤلاء ثورة في الادب انفتحت لها عيون القراء ، بعضهم هاجم الرائدين بعنف واتهمهم بالكفر والاستهتار الادبي ، والبعض الاخـر راى في هذا اللون الجديد من الشعر بدعة طريفة تستحق لفتة خاصة .. ونمت هذه الفئة ، مع السنين ، حتى بات لها الان عشرات الشعراء في دنيا العرب ، لكل منهم طريقته الفنية الخاصة ومقياسه الشاعري الخاص ...

فما هو شأن هذا الشعر وما قيمته الادبية ؟

في الواقع ان فريقا كبيرا من كتاب هذا العصر بداوا يفكرون بضرورة انطلاق الشعر من قيود الوزن والقافيـة ليتمكن الشاعر من الانصراف بكل طاقاته العقلية والشاعرية الى الخلق المبدع الذي يغترف مادته من الينبوع الكبيـر الصافي دون قيد او شرط .

وبعد هل نحن من العالم سوى ساقية صغيرة فـي النهر العالمي : عنه نتفرع وبه نتأثر ؟ وهل في مكنتنا وحدنا الانفراد والتشبث في أمر دون التأثر بالمجاري والتيـارات الرئيسية التي تصب في هذا النهر بلا هوادة ، حينا تلون ماءه بالجمالات الغنية ، وحينا تدفعه باضطراب معكـرا مغبـرا !؟

لا احسبنا اذن مخيرين في هـذا الامر ، ولا احسب

مصيرنا الشعري رهنا بارادتنا ، اذا قدرنا لشعرنا ان يداب على النمو وينال قسطه من التطور الطبيعي ، ما دمنا نسد جوعنا الفكري عن موائد غريبة ونلقح ثقافتنا دون تحفظ بثقافة غريبة ما انفكت في تطورها وتجددها الدائم خير نموذج لعصر الذرة الفائق السرعة والذي نعيش فيه .

نخلص من هذا الى القول باننا في اثر الشعر الغربي تحرر من قيوده ؟

انه سؤال يترامى بعدا وغورا ويقصر المجال دون الاحاطة به كما يجب . غير ان من تسنى له ان يرافق النهضة الشعرية الحديثة مدرك ولا شك بانها احد مظاهر «التحرر» الكلي الشامل الذي يسم بوضوح جميع مرافق حياتهم على السواء : الفنية منها والادبية والاجتماعية .

فالفنون مثلا ، انطلقت من قيودها الكلاسيكية ولا آبهة بالاحتجاج والاستنكار يرسلها المحافظون بشدة . كأنما هؤلاء الفنانون يمشون وحدهم في وضح النور والعالم من خلفهم في غوغاء الوعي الفني يختبط !.. ليست عبثا برأيي ، ثقة الفنان المعاصر بقيمة نتاجه ، والا فما باله قطع السلاسل بهذه الجراة الخارقة وحلق كالنسر في اجوائه الحرة ؟!

وبين شعراء فرنسا واميركا ، لو علمنا ،عدد ضخم متجل وذو شهرة عالمية ... واتحدى من يستطيع ان يعثر في دوواوينهم على ثمة وزن او قافية ! كأن ضمائرهم الشاعرة باتت ترفض رفضا كل ما يحد من حريتها وانطلاقها .

وهاكم الاثاث في بيوتنا الحديثة لكم يجنح في تعميم خطوطه الى التبسيط والوضوح والانفلات من مطلق تعقيد واضطراب . وحتى ازياؤنا ، اي توجيه فيها كبير نحو التحرر ، يتخذه مبتكرو الازياء رائدهم لكل ما يرضى عنه الذوق العصري ويرتاح اليه !

يخيل الي ، ان هذه الظواهر المتعددة والمتماشية كلها في الاتجاه انما هي معبر طبيعي عن حالة الناس النفسية — نفسية من خرج من حربين عالميتين عانى من ويلاتهما الوان الضيق والحرمان فطلب الحرية على كل صعيد كرد فعل لما اصابه . وكان من الطبيعي ان تنعكس نفسيته التواقة الى الحرية ، في كل اثر يبدر عنه ، فني او ادبي او اجتماعي ..

لا اود ان يفهم من كلامي بانه قضي الامر وتم تحرير الشعر العربي ولم يبق هنالك من ينظم القوافي ويعنى بالاوزان . بل سيظل لهذه في كل زمان ومكان من يتشوف اليها ولا يتغنى بسواها .. وانا شخصيا من الذين درجوا على تذوق الشعر الموزون والطرب له . وليست مهمتي هنا غير محاولة لعرض واقع وتحليل موقفنا منه ، بنسبة ما لهذا الواقع من صلة بخصائص العصر على الصعيد العالمي الذي نحذو حذوه ونتأثر به ايما تأثر .

على ضوء ما تقدم ، يتراءى لي من الاحتمالات التقديرية ان ثمة اتجاها قويا لتحرر الشعر العربي من الوزن والقافية حسب هذا التحرر من مبرر انه صورة صادقة لروح العصر وتنكر ابنائه لكل قيد يحد من انطلاق القوى الانسانية في الانسان لخلق ما هو افضل .

بقي ان اؤكد انه ليس هينا البتة ان يستقيم للشعر المنثور من الخصائص ما يرفعه الى مصاف الشعر الموزون ، هنالك شروط فنية معينة هو بدونها من سقط الكلام — ومن هنا عد اغلب الشعر المنثور حتى الان ليس بجيد ولا بمستحق تقديرا ، فلا يحسبن اذن كل من سطر ابياتا منثورة انه يكتب الشعر الحلال .

اما شروط الاجازة فاولها الابداع وخلق الجديد الطريف معنى ومبنى والتعبير عن التجربة الشعورية بومضات حية خفاقة تخطف القارىء خطفا فينكر نفسه في اجواء الشاعر يشاركه احاسيسه وخلجات قلبه ...

ولحمة القصيدة في الشعر المنثور من اهم مقوماتها ، بدونها لا تسلم روعة الوقع ومفعولها في النفس — وهنا نلفت النظر الى هذا التفكك والتراخي وسواهما مما تعانيها معظم القصائد المنثورة كأن يعمد الشاعر الى الاطالة دون التوسع بالفكرة ، او عن طريق التكرار والمط مما يذهب بالروعة ويقطع على القارىء حبل نشوته ...

وضلالا يضل شاعر النثر ان هو تعمد الرمز والابهام ليوهم قراءه بقوة الهامه وتدنيه من الاعجاز ، لان في هذه المحاولات افلاسا وفشلا ذريعين ، وما احرى شاعرنا لمس الايماءات لمسا رفيعا ، في منتهى بساطة وفن ، ورسم اللوحات الشعرية في منتهى براعة حتى يشم القارىء فوح الزهر وتخزه الشوكة ، ويشنف سمعه لغناء بلبل ...

ولن نضائل من اهمية عنصر الموسيقى في الشعر المنثور . بدون الموسيقى تخرج القصيدة دون سؤال الى حيز النثر — هذا الى جانب مراعاة التقديم والتأخير وانتقاء اللفظة الواحدة والحرف الواحد دون سواهما وما الى ذلك ..

صناعة الشعر المنثور اذن ليست سهلة كما يتوهم البعض ، على مجاراتها اكثر من الشعر الموزون للطبيعة والفطرة .. انها ككل لون ادبي آخر تجتاز ادوار الولادة وتخضع للصقل باشراف الذوق الاصيل والمران الواعي .

شعرنا العربي ، كما ارى ، في طريق تحريره من الوزن والقافية . اما تحديد قيمة هذا الشعر فذلك خارج عن مقدورنا الان وللمستقبل وحده ان يحكم له او عليه .. هل سيكتب له البقاء ام سيذهب مع الكثير من مستحدثات العصر ، هباء في هباء ؟؟

ادفيك جريديني شيبوب

دروب

ه

الى راحلة

ه

انني اسير حافيا على الف درب ،
يا الله ، وعلى جبيني صليب
آلامي ... فالى اين ؟! [سمير ..]

ه

لسمير صنبر

كل الدروب اليك يا روما تقود
بلا وعود ..
ومع الحياة
عبر الليالي الموحشات
نغمات صوتك تخلق السر العجيب ..
« عيناكَ تحترقان في نهم غريب . »
وانا الغريب
أنا الشريد
أجري.. والهث في الدروب .. انا الشريد
وحدي .. وفي صمت الغروب
تتدافع الاشلاء في حزن طروب !
شمشون يحلم من جديد
والقيد يعصر عنقه .. شمشون يحلم بالحديد
وبالحجارة والطيوب ..
« اعصار ذاك الفجر أقوى من حكايات العبيد »
والموت .. والطاحونة الخضراء تختصر الشحوب
وتدور بالنغم الرهيب ..
«الان.. الان الخطايا في معابدنا تذوب » !!

* * *

واظل احلم بالوعود وبالصباح وبالطيوب
واظل أبحث في الدروب .. عن الدروب !!

تمثيلية

البداية

بقلم ثريا ملحس

ــ اسمع . لا تناديني باسمي . هل فهمت ؟. اعني انا . انا . لا اسم لي. انا لا شيء ... يكفي ان تقيدني بجمل فيها اسماء وافعال وحروف هل فهمت !

ــ ولكن ... يا ... لم افهم ما تعني .

ــ اقول لك لا تناديني باسمي . انظر انا لا شيء . كنت في الماضي شيئا ، اما اليوم ... صفق في الهواء ! حاول ان تهز كتفي . اريت ؟ انا فراغ . انا لا شيء .

ــ ولكن لا افهم . قل لي . لا افهم ما تريد ان تقول ... طيب . تعال . اترك هذه الاوراق وهذا القلم . يبدو لي ان الكتابة قد ارهقتك ... تعال الى الهواء الطلق . الى البحر .

ــ قلت لك لا تثرثر كثيرا ، انا لست هنا . وانا لا شيء . كنت مكونا من اسمين وكان لي أهل في يوم من الايام ... لا باس ، لا اريد ان اعود الى الماضي ... اما اليوم فاريد ان اكون فراغا . هل سمعت ؟

ــ طيب . تعال . اخرج من هذا الجحيم . هذا المكان اشبه بكهف . اكاد اختنق ...

ــ افتح الباب .

ــ لا اريد ان افتح الباب ... قلت لك انا لست هنا .

ــ ولو ! ... لكنك هنا ... يا الله ماذا اصابك ؟ لا تمزح انا هنا وانت هنا ! وانت تكتب وانا واقف اروح واجيء ... اسمع خطواتي : تك . تك . تك . تك . هل سمعت ؟

ــ ماذا تقول ؟ قلت لك انا فراغ وقد فات الاوان .

ــ ماذا فات ؟ اوان ماذا ؟! لا تمزح .

ــ طيب . هل تريد ان تأخذ الفراغ معك الى الفضاء ؟

ــ بل اريدك انت !

ــ لقد فات الاوان قلت لك ، فانا .. انا ... ساحدثك بعدئذ .

ــ يا الهي ماذا اقول حتى تسمع .. اسمع . فلنفرض اننا التقينا بواحد من الناس ...

ــ انا لست شيئا . والشيء له اسم وله شكل .

ــ طيب يا عمي ! دعني اكمل جملتي . فلنفرض اننا التقينا بواحد من الناس ...

ــ لا يستطيع ان يراني ... اين يداي ؟

ــ ألا تكتب ؟

ــ لا ... لا ... انت ترى انني اكتب ، اما الحقيقة فانا لا اكتب ! ارايت ؟ اين يداي وعيناي وراسي وقدماي ؟

ــ لكنني اسمع صوتك ؟ لا تمزح ! اسمعك بكل ذرة من ذراتي . ها انت . انت حقيقة واقعة . اراك بعيني . والمسك بيدي !

ــ اذن اغلق عينيك وابتعد عني ..

ــ اف من مزاحك . اراك تغيرت .. كنت في الماضي جديا ، لا تحب المزاح !

ــ من قال انني امزح ؟ قلت لك لقد فات الاوان .

ــ اوان ماذا ؟ ماذا الذي فات ؟ فات . مات . بات . وما شئت من كلمات ! كلها لا تعني شيئا ... فلنفرض اننا التقينا باحد من الناس فماذا أقول عنك وكيف اعرفك اليه ؟

ــ لا تمثل . كيف يعرف انني معك وانا لا شيء ؟

ــ اذن يحسبني مجنونا .

ــ انت مجنون ! ها . ها . ها . ، ان كنت مجنونا فانا مجنون ! اسمع سلم عليه ان شئت دون ان ... اعني دون ان تشير الي ... الى الفراغ .. الي ! اسمعت ؟!

ــ ما اثقلك يا صديقي ! ما اثقل مزاحك اليوم !

ــ اي مزاح ؟

ــ اعني لماذا تحب التمثيل ؟

ــ اي تمثيل ؟

ــ اعني انت كل شيء وتدعي اللاشيء .

ــ اسكت ... اسكت انا الفراغ اريد ان انتقم من ... كل القيود حتى ...

ــ حتى ايش؟ ماذا تقول؟ اسكت .. هص ... الناس يحرقونك اذا سمعوك ! الناس افهمت ؟ الناس ضعيفو الادراك والعقول و ... الا تخاف ؟

ــ خلعت . قلعت . مزقت جذور الخوف من صدري لذلك ... لذلك ...

ــ هص ...

ــ طيب ، لا تريد ان تسمع لانك مثل الناس ، لك قلب كلب !

ــ ها

ـ ايها الناس تعالوا تعالوا اسمعوا ماذا اريد ان اقول ... وانت يا بروتس ! حتى السمع تحسبه كفرا والحادا وخروجا ...؟!

ـ دعنا نترك هذا المكان .

ـ اتركني انتظر ، الساعةالرابعة ، هذه الساعة ، ليتني حطمتها من الزمن كله ، لا بأس ، اتعرف ماذا تنقل الي ؟ تعرفني بعته الناس .. اريد ان ابقى هنا لانتصر ...

ـ لتنتصر على من . على ماذا ؟

ـ لاقول : انا الحق . انا الحق .

ـ صه ... هص ... انسيت كيف صلب الحلاج وحرق ؟

ـ لكنه عاش في عصر ...

ـ ونحن في عصر احط منه فكرا ، والافضل لك ان تسكت ! هيا بنا الى البحر .

ـ ماذا قلت ؟ الى البحر ؟

ـ لم دهشت ؟

ـ آه الى البحر ... ولكن اياك ان تعرفني الى اي انسان . جميع الناس فضوليون . اريد ان اتركهم كلهم كلهم . ارايت كيف تحولت الى فراغ ...

ـ خلصنا يا ... يا ... امش معي ....

ـ لا تجرني جرا .

ـ اثبت انك موجود ولست فراغا !

ـ اهلا بسمير ...

ـ من يناديك من بعيد ؟

ـ ارايت كيف تثبت لنفسك ولي بانك موجود تحتل مكانا . وتمثل شكلا من الاشكال . ومساحة من المساحات ؟

ـ امثل شكل حمار ... دون جدال . لقد حان الوقت ... وآن الاوان ...

ـ لماذا انتخبت الحمار ؟

ـ لان الناس لا يرضون الا على الحمار !

ـ اسكت ... الست فراغا ؟ انت لا شيء ، كيف تتكلم ؟!

ـ نسيت أعني الناس يحترمون الحمار الذي يرضى بالرسن والسرج والعصا .

ـ بدات تتفلسف ... اياك ان تنهق عندما يقترب منا سامر !

ـ ومن يكون سامر ؟

ـ ارايت كيف تسأل بالرغم من انك فراغ ؟!

ـ ها يقترب اسكت . امش . والا تحرش بك . وسأل من تكون انت .

ـ طيب ... هص ...

ـ اهلا بسامر . كنت اتنشق الهواء الطلق بعد عناء العمل لذلك لم ارد عليك التحية بسرعة ...

ـ الى اين تمشي ؟

ـ الى البحر .

ـ مع من ؟

ـ مع نفسي .

ـ من الحمار الذي يمشي معك ؟

ـ ماذا ؟ الحمار ؟!

ـ انه حمار لانه لم يقف . ولم يسلم .

ـ لم يمش معي احد ... انت غلطان !

ـ ماذا اصابك ؟ ولم التمثيل يا سمير ؟

ـ اسكت يا سامر انني تعب ، تعب ، واردت ان امشي وحدي على الشاطىء ، فسرت مع ... مع نفسي !

ـ طيب ... مع السلامة ... يا حمـ..

ـ اسرع ، اسرع ... هل عرفني ؟

ـ لا لم يعرفك . ولم يأبه لك !

ـ ارايت كيف ...؟ لقد فات الاوان ... اين الغروب ؟

ـ لماذا تطلب الغروب وانت لا شيء ؟

ـ اريد ان ارى اعظم قوة وهي تنحني صاغرة امامي ، اريد ولو مرة في حياتي ان انتصر على اقوى قوة ... الشمس لنا كلنا ، هل هذا صحيح ؟

ـ لا اظن ولكنّ الناس يقولون ...

ـ نعم صحيح . وبكل تأكيد .

ـ والبحر هو لنا ، هل هذا صحيح ؟

ـ لنا كلنا ، لك ولي ولجميع الناس .

ـ اراك تتكلم وتضع يدك على كتفي . وماذا حل بالفراغ ؟!

ـ اسكت، انتهيت الان من غرفتي، وانا امام البحر ... البحر ... هل تفهم ؟!

ـ وهل البحر جديد . اول مرة تقف امامه ؟

ـ لا تفهم ماذا أعني .

ـ البحر ... البحر سينقذني من الفراغ .

ـ السباحة ضرورية ! تريح جسدك ونفسك !

ـ اراك تتباله ! على كل البحر .. البحر ينقلني الى ما وراء الشمس ، كل شيء يموت في الطبيعة ليترك مجالا لسواه . وماذا اترك انا ورائي

ـ لا تتشاءم ستترك وراءك كتبك وآراءك ...

ـ آراء مجنون .

ـ لماذا تظن انك مجنون ؟

لا اظن ولكن الناس يقولون ...

اسمع . اذهب الى الناس وقل لهم انني خرجت عليهم ، وغدا سالتقي به ... واعاتبه عتابا شديدا ... اريد ان انتصر على سخافات البشر ، اريد ان اعود لازعق في وجوههم واعلمهم حكمة واحدة واحدة فقط ، كلهم منافقون .

– اصبحت واعظا تقف على هذه التلة ، هل نسيت انك فراغ ! الافضل ان تعود الى الفراغ قبل ان يسمعنا انسان فضولي ... خفض صوتك .. جميع الناس سخفاء . سخفاء . سخفاء . كلهم نعاج . بقر . فاذا خرج احدهم عن الطريق ... الافضل ان نكف عن الكلام . ونتمتع بذ ذرات الموج مع رجرجات النجوم ! انظر الى هذه الصخرة ... ماذا بك ؟ لماذا تبكي ؟ وهل يبكي من في قلبه بركان هائل ؟ لا تبك . غدا سينطلق البركان وبعد ان يهدأ سيلمون منه الدر والمرجان !

– لا تمزح ...

– كنت انت الذي يمزح من قبل !

– عدت الى جسدي ، عدت الى الدموع ، فالدموع تريحني وتعيدني الى تأملي في الكون ...

– لكنك تبدو ...

– ضعيفا .. ضعيفا .. اضعف من النملة ! ارايت طردت الدموع في ثانية ، والان اريد ان انتهي من كل شيء ... اريد منك شيئا واحدا .

– ما هو ؟

– ان تذهبمن طريقي لانك ثقيل؟!

– سامحتك . انا ثقيل ؟!

– ثقيل لانك وقفت في دربي . وكم تمنيت ان لا تقف . لان نهايتي هنا . هنا . افهمت ؟

– كيف افهم وانا فراغ وانا دون زمن ! دون مساحة !

– طيب ... بدات تفهم ! لا تذهب أقعد هنا احدثك .

– كيف اقعد وانا فراغ !

– صه لا بأس ، لا بأس ، وانا فراغ !

– هات يدك .

– ولكني فراغ !

– خلصنا ... وانا فراغ . ضع فراغا في فراغ !

– ما رأيك ان يبدأ الفراغ بالبناء .

– قبل ذلك يجب ان نثور ، ونبعث الزعازع حتى ندك كل شيء في البلاد ، ونحوله الى فراغ .

– امش ، الا تريد ان نبدأ ؟

– فلنبدأ : لا نرى . لا نسمع .

– خلعنا جذور الماضي والحاضر .

– لا نرى . لا نسمع .

– تعال نبدأ .

– بم ؟

– الم اقل لك ؟ تعال نحول كل الناس الى فراغ !

– مثلي فراغ !

– لا . مثلي انا !

– هيا نسرع قبل ان يغيب القمر .

– سنحول القمر الى فراغ .

– نريد ان نعنى بالبشر . القمر والنجوم والشجر والبحار وجميع الكائنات غير البشرية لا تهمنا . لانها كلها حلوة حتى في تحجرها ! اما البشر فهم الذين سنعنى بهم . سنعنى بامرهم ، لان الجماعة منهم مع حقارتهم وتفاهتهم يستطيعون ان يقلبوا ما يشاءون راسا على عقب كما فعل الاقزام في الماضي . ادعوا المعرفة المطلقة فحجروا نفوس البشر ، نريد شيئا جديدا !

– اي جديد ، وكلانا فراغ ؟!

– اسكت ، تحولنا الى فراغ لاننا نريد ان نبتعد عن النفوس المتحجرة من البشر .

– تعني سنمثل حتى اذا اشتد ساعدنا ...

– لا يشتد ساعدنا ولكن عقولنا ، فكرنا .

– أتريد ثورة فكرية جامحة ؟

– وعقائدية ...

– ارايت كيف اصبحت تفهم ، تفهم كل شيء ، حقا انك فراغ !

– وكيف يفهم الفراغ ؟!

– لا يفهم الا الفراغ . ولن يثور الا الفراغ . ولن يأتي بالجديد الا الفراغ .

– غريب امرك . فراغ !

– لو سمحنا لنفوسنا ان تتحجر . وسكتنا عن ماضينا ، وحاضرنا ، لما كنا فراغا .

– اذن هيا فلنبدأ بتبشير الفراغ .

– بالفراغ تنجو الارواح .

– قم . امش .

– انا فراغ .

– آه . عظيم انت . وانا فراغ .

– قم نترك الدنيا للبشر وعقولهم الممسوخة .

– اسمعلا تناديني باسمي ، ولاتقف اذا ناداك احد .

– امش دون ان ترى دون ان تسمع .

– فهمت ... انا فراغ . سمعا وطاعة .

– وانا فراغ .

– فلنبدأ .

ثريا ملحس

شتاء

الروض منقبض الطوية مظلم متهيب في خطبه متبرم
غضّ الجفونَ على القذى وبصدره نار تشبُ ولوعة تتضرم
متجهم القسمات مغبرُ الثرى مستغلق كالليل أسود أقتم
نطقت رثاثة أمره عن بؤسه اذ عيٌ عن قولٍ وأعوزه فم
لا تعجبنّ لبائس في صمته فالبؤس ان بلغ النهاية أبكم
والدوحة الفينان صوح غصنها فتكشفت عريانة تتظلم
قد راعها أن أبصرت أوراقها بددا يفرقها الشتاء وينظم
أغصانها ممدودة وكأنها يد ضارع لما عراه تندم
واذا تملكها الحنين تمايلت ومن التمايل والحنين تكلم

* * *

والطير ألجمه الاسى عن سجعه ومن الكآبة والاسى ما يلجم
شتى النوازع جازع متجلد حينا يثور وتارة يستسلم
ويصيخ بالاسماع من شجن الى عصف الرياح وقلبه متقسم
أشجاه أن رياضه عبثت بها يد قاهر لا تستلين وترحم
ومطارف الفنن النضير تمزقت بيد البلى وتساقطت تتصرم
والريح كالمصروع اما عاده من لوثة الماضي السحيق توهم
تشكو وتجأر بالعويل وما بها مايوجب الحزن الممض ويسقم
فيعيرها الطير المروع أذنه قلقا ويغلبه الحنين فيلطم

* * *

والارض طامسة الصوى مقفرة فكأنها البيداء أو هي أبهم
هتك الشتاء قناعها فتكشفت للناظرين ولم يعد ما يكتم
وبدت طويتها كسطر ماثل وأذيع ما هو جائز ومحرم
لم يبق من سر يكاتمه الثرى أو من خبيء أمره لا يعلم
كشف الغطاء ولم يعد من باطن للارض يخفى ليله المتجهم
قد عُريت وانزاح ما سدل الحيا عنها وما أخفى القضاء المبرم
هي مسرح الاثم الذميم ومعقل أمن الشقي به وعاث المجرم
وبطونها قبر لمن ارداهمُ الدهر المدلُ وسيفه المتحكم

* * *

والسحب تنشر في الفضاء مطارفا أذيالها دون الثرى تتلملم
سوداء فاحمة وينصل صبغها حينا كما نصل المشيب المعلم
تبكي وليس على الجوى عين لها وتضج صاخبة وليس لها فم
واذا الرياح تناوحت عبست أسى من لوعة وتعطفت تتبرم
قطراتها دمع الصبابة هاجها قلب مهيض في الضلوع يغمغم
وكأن صوب الغيث في تسكابه سيل يزمجر عاتيا ويزمزم
أو انه الشلال مدّ سواعدا من مائه وانساح وهو يدمدم

* * *

مالي أراكِ كفارس متهيب لا ينثني طمعا ولا يتقدم
أحسبتِ كرّ الدهر يطوي صفحة من سفر أشواقي التي تتكلم
أو كانت الايام تخمد جذوة من أضلعي ولو أن حبي مغرم
قلتِ : الشتاء يميت كل صبابة ويشتت الامل الوسيم ويصرم
ولكل شيء ما تطاول ليله فجر وموعدنا الشتاء محتم
ليس الشتاء كما زعمت بمطفىء وجدا يشبُ وآهة تتضرم
أجهلت أن مع الشتاء عواصفا والرعد من خلف السحائب يرزم

دمشق

عدنان مردم بك

وجدت نفسي

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

انـا كبرى اخوتي واخواتي ، وصلت الى سن ٢٨ سنة ، يحاول والدي الدكتور البير ان يزوجني اشهـر الشخصيات في الطب والقانون . والدي مثقف ثقافة عالية ، ولا انكر ذكاءه وشغفه للمطالعة في مختلف العلوم الانسانية ولا تسمع من الناس الا ثناء عليه وعلى اعماله الجليلة وعقله الراقي .

ماتت اخيرا والدتي من ربو نفسي ، ولم يستطع احد معالجتها . ماتت بعد انفعال شديد وهي بعيدة عن والدي في الايام التي رفعت فيها دعوى نفقة . وكنت احب والدتي حبا جما ، واعتقد انها كانت ضحية سوء تفاهم بينها وبين والدي . رايتها تتعذب عذابا متواصلا ، وكانت دائما تسخط على الزواج وتتهم الوالد امامنا ـ نحن اولادهما ـ وتعبر عن سخطها عليه . وقصت علينا مرارا ما لاقته من عذاب في المعاملة واحتقار واتهـام بالجهـل والتاخر ، ذاكرة فضلها عليه وانها هي التي كونته بمساعدتها له وهو طالب طب .

وكل هذا لا يعنيني الان ، ماتت وورثتها ، وعبرت ملامحه عن ارتياحه من عبئها . ولكني الان محتارة في نفسي ، محتارة في موقفي منه ، انه يهاجمني اليوم بعطفه ويحيطني بعنايته ويحاول الحصول على حبي له . انه يذكر باعجاب مواهبي في الموسيقى والرسم . ولكني لا انسى ما كان يعاملني به من قسوة في الطفولة ، لاني كنت ابكي مع امي عندما تبكي وعندما كنت اغادر المنزل معها عندما كانت تغضب منه وتلجأ الى اهلها . لقد كان يذاكر لي دروسي بقسوة مخيفة ، وكان يضربني ضربا عصبيا عندما اخطيء ، وكان يفقد سلطته على نفسه عندما يعلم اني سقطت في الامتحان . فكرهت الامتحان وكرهت المدرسة وكرهت كل العلوم ، فطاف بي على المدارس ثم الجامعـات وانتهى بي المطاف في كلية الاداب .

والان اريد ان اعيش هادئة فلا استطيع : تزدحـم الافكار في ذهني ، وافقد احيانا القدرة على النطق ، وافقد مرارا القدرة على المشي فاجلس على اقرب مقعد اصادفه ولو كان مقعد بواب ، وشكلي مشوه لان وجهي متقلص من الخوف الكامن في نفسي . ومع ذلك يطمع في بعض الشبان ويعاكسونني ، اتوه في الطريق وافقد الشعور لاجد نفسي بعد لحظة في مكان غير المكان الذي كنت اقصده اجدني احيانا في دكان اسأل عن بعض بضائع غريبة ، وافيق على نفسي احيانا اخرى عند صديقة تستقبلني واتحدث معها في شئون مختلفة ولا تشعر اني كنت فاقدة وعيي .

اخاف في حالتي الطبيعية من المجتمعات ، واتردد قبل ان ادخل اي دكان ، واختار الاجزاخانات الصغيرة لان المحلات المزدحمة تخيفني خوفا شديدا . وقد حدث لي ان افقتعلى نفسي وانا اعزف البيانو فيسميراميس، اذدخلت نهارا وكان البهو خاليا الا من بعض الخدم ، وبدات اعزف قطعة لبيتهوفن وقطعة شرقية ، وصحوت على تصفيق جمهور عجيب من اجانب وسواح وعمال الفندق ، فهربت مسرعة .

اكره الناس كلهم ، واحاول الانتقام فاقسو على نفسي واحرمها من الراحة ولا انقاد الا لشخص واحد هو اضعف مخلوق في الكلية ، واميل اليه لانه مريض مثلي ويستطيع فهمي ، فتراني اشعر بنوع من الراحة لمحادثته ، واشعر به يتقدم في دراسته ليظهر لي قوته ، واشعر بنوع من السعادة لاني ـ من حيث لا اريد ـ اخدم شخصا وانقذه من مرضه . واخفيت عن الناس كلهم ، وعن والدي بالخصوص هذا الموضوع .

والح علي والدي يوما ان اخرج معه للنزهة . وخرجنا لاول مرة وذهبنا الى حديقة عامة وجلسنا صامتين . وكان بجوارنا اب يداعب ابنته الصغيرة مداعبة تدل على اعمق حب ، وكانت كل تعبيرات الحنان تتمثل في نظراته وافعاله وكأنه ام تلاعب طفلها ، وكانت الام تنظر الى هذا الموقف وهي في نشوة ظاهرة . فاثار هذا المشهد في نفسي كل ذكريات الطفولة القاسية وخصوصا مشهد يوم كنت مريضة فيه في السرير بعد انتهائي من امتحان الابتدائية وجـاء والدي من الخارج ودخل الى غرفتي وكانت والدتي بجواري تمرضني ، فجاء الي وضربني معلنا سقوطي في الامتحان . وعجزت عن النطق ، وصرخت والدتي وفقدت الشعور ، ولم اكن قادرة على الجري لشدة الحرارة والمرض . ولم اتالـم الا لآلام والدتي التي كانت تعاني دائما مثل هذه المواقف . ولم يكن والدي يعترف بمرض افراد عائلته .

كل ذلك خطر على ذهني ، ونظرت اليه نظرة عميقة افهمتني انه شعر بكل ما خطر في بالي . وسالت الدموع من عينيه وطلب الرجوع الى البيت خوفا من ان تحدث حوادث تلفت انظار الجالسين ، فضحكت ضحكا شديدا ثم بكيت بكاء صامتا وفهمت انه نادم على اخطائه نحوي ونحو والدتي . وخرجنا واتجهنا الى قبر والدتي حيث بكينا معا واتحدنا في عطف والدتي .

وكم كانت دهشة زميلي عندما دخلنا عليه غرفتـه المتواضعة في حي بلدي بعدما افهمت والدي رغبتي فـي الزواج منه . وانسى حب والدي لي تكبره القديم واحب خطيبي حبا صادقا وبارك مشروع زواجنا .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

قصة مصرية

الكالو

بقلم بدر نشات
من رابطة النهر الخالد

قرش ... قرش واحد ... الا اجد من يسلفني قرشا ، ويستبد اليأس باسماعيل فيصرخ في الزملاء :
— قرش اركب بيه الترماي وانا راجع ... يعني ما فيش واحد فيكم معاه قرش زياده مستنفني عنه لغاية بكره... اهي دي الظروف اللي تبين الصاحب بصحيح ... رجلي فيها كالو يا جدعان ... والجزمة ضيقة ... والله العظيم مش قادر امشي ... مش مصدقين .

والقى اسماعيل بجملته الاخيرة في وسط المكتب ووجه يتلوى بالالم ونظراته تبرق غاضبة ثم تنطفىء مسترحمة وزملاؤه الموظفون الباقون في مكاتبهم والزاهدون في الترويغ هذا اليوم يطرقون برؤوسهم ولا كانهم هنا... لم يلتفت احد الى اسماعيل ، ولم يرد عليه مخلوق ...

وعاد اسماعيل ينط بقدم واحدة بين المكاتب وينحني على الزملاء يستعطفهم من جديد ويعيد عليهم حكاية رجله والكالو والجزمة الضيقة ويقسم ويتذلل وهو يلعنهم في سره ... ولكن كفة القرش كانت هي الراجحة وصداقة الزملاء للقرش كانت اقوى من صداقتهم لاسماعيل ولغير اسماعيل ...

ولم يكن يغيب على اسماعيل ان يلحظ كيف تبدو عملية التنازل عن القرش في عيون الزملاء مغامرة خطيرة مجهولة تقعد بهم الجراة عن الاقدام عليها ... حتى شبلي كان ينظر اليه في وجوم ثم اشاح بوجهه ومضى يدير قرص التليفون وكانه لم يسمع شيئا مع انه في الصباح ارسل فرج الساعي بنصف ريال فاحضر له سندوتشا وتسعة قروش .

ويتضاعف قنوط اسماعيل وتطل عليه المشكلة مغضنة الوجه عابسة ... فالمشوار طويل ممتد وهو لا يستطيع المشي بهذا الحذاء الضيق ... حذاء اخيه الصغير ... وبذلك الكالو المنتفخ من المنيرة الى سيدنا الحسين ... لا يستطيع ... مشوار رذيل لم يكن يقطعه في حالته العادية في اقل من ساعة ... ساعة كاملة ...

ولو كان يعلم بما سيحدث له في هذا اليوم الاغبر للبس حذاءه الاسود ... صحيح ان الشق الذي في وجهه قد اتسع ولكنه على اي حال ارحم من هذا الحذاء ... في الصباح خرج متاخرا عن موعده وقطع شارع الازهر بسرعة وفي سهولة دون ان يحس بشيء غير عادي يلفت انتباهه الى نوايا الحذاء الخبيثة ... وفي العتبة ركب الترام ثلاثين ... وترك في يد الكمساري اخر قرش معه وقال لنفسه : — ابقى آخذها كعابي وانا راجع ...

ولكن الحذاء اللعين قلب خطته راسا على عقب ... وبدأ يضيق على قدمه واخذ الكالو يسخن ويتضخم في اصبعه كلما انتقل من مكتب الى آخر ... ويحز في لحمه وينبح في دمه كالضرس المسوس .

وقف اسماعيل يهمس في يأس .. مفيش رحمة... يلعن ابو الدنيا ... يلعن ابو العيشه ... ويلعن كل الفلوس ... وشركة الترماي والجزم ... والصوابع كمان .

ظل يفكر ويحادث نفسه وينظر الى الزملاء ويلوي شفتيه ... وحين مس انفه خيط الدخان المنسل من سيجارة شلبي هفت نفسه الى سيجارة — كان شلبي مضجعا على اخره في الكرسي وسماعة التليفون في يده وهو يدخن ويقهقه ويصرخ :

— لا يا شيخ... كده ... قول حاجه غير دي... اشمعنى ...

ساعة وشلبي يدردش في التليفون ويصخب ودخان السيجاره يتحلل الى خيوط رفيعة يفركشها الهواء الداخل من النافذة واسماعيل يتعقب دخان السجاير بعينيه ورغبة التدخين تشتد في نفسه وتستبد بارادته .

وقف اسماعيل ينقل نظراته بين شبلي وسماعة التليفون ودخان السجاير ومكاتب الزملاء ... توفيق مزوغ ولعله في بوفيه المصلحة الان — ومكتبه فاضي... ومدبولي غير موجود حضر في الصباح في الميعاد مضبوط والقى عليهم السلام ، وبعد ربع ساعة اختفى كعادته كل يوم ...

وفي اخر الحجرة ... في الركن البعيد ... مكتب عريض كبير عليه اكداس الملفات المتربة يقبع خلفها عبد اللطيف افندي الريس بجسده المكبب وراسه الاصلع

وعبد اللطيف افندي لا يعرف كم عدد الموظفين معه في القسم ولا يهمه ان يعرف ذلك ومن موجود ... ومن غير موجود ... لماذا يعرف ويتعب نفسه ... كل الموظفين اوباش اولاد حرام لا تأتي منهم الا البهدلة ... انه يختفي خلف الملفات ولا يظهر الا ساعة الانصراف ولا يعلم احد ان كان يقضي نائما او حالما او ميتا ... وحتى اذا ما تحرك من مكانه واضطره ظرف قاهر الى مغادرة المكتب ينسحب في بطء وحذر كأنه قطة حامل ...

كان الموجودون من الموظفين يصخبون ويضحكون ويدخلون وينصرفون في اسهاب وفوضى ... ولا من رقيب ... وحتى الجالسون الى مكاتبهم لا يؤدون اي عمل ... الرجل الكبير فريد افندي وكيل القسم مدحدر النظارة على عينيه ومضجع في المقعد يقرأ صفحة الوفيات في جريدة الاهرام في شغف وتشف بعد ان حفيت اقدام فرج الساعي بين مختلف المكاتب ليشحت الجريدة لحضرة الوكيل ... دقيقتان فقط ... يقرأ حضرة الوكيل فيها شيئا هاما ويرجعها بالتالي ... دقيقتان ... كل يوم يلف الساعي على المكاتب القريبة ليستدين جريدة لفريد افندي يبحث فيها عن شيء هام ويعيدها ... فاذا ما حضرت الجريدة امتدت الدقيقتان الى ساعتين وثلاث فان نساها صاحبها ولم يحضر لاخذها يتسلل بها فريد افندي وقت الانصراف منتصرا متلذذا مع ان الرجل متيسر الحال في الدرجة الخامسة ... يقبض كل شهر ٣٢ جنيها حته واحدة .

اما سعد فانه لم يغادر مكتبه منذ ان حضر في الصباح فقد اقترب موعد امتحان الدور الاول والمسكين نازل على اسنانه في المذاكرة يقرأ في كتاب تارة ويقلب في كراسة المحاضرات تارة اخرى ...

وظل اسماعيل يستعرض المكاتب والزملاء ... ودخان سيجارة شلبي يملأ خياشيمه ويقوى من رغبة التدخين في نفسه فابتدأ يفكر في طريقة يدخل بها على شلبي ليأخذ منه سيجارة ... وكان اسماعيل يعرف ان شلبي رجل لطيف في بعض الاحيان وسخيف في معظم الاحيان ... في بعض الاوقات لا يهتم شلبي بشيء ويستبد به كرم مفاجيء ... وفي اغلب الاوقات يصيح ويتشاجر ويضرب من اجل عود كبريت انما علبة السجاير مع شلبي ممتلئة دائما فهو يأخذها كل صباح من البوفيه على الحساب ويدفع اول الشهر واسماعيل يعرف ايضا ان الشيء الذي لا يدفع ثمنه فورا يبدو متوفرا رخيصا وتكون له قوة تنتصر دائما على البخل ... وكان شلبي في ذلك الوقت قد استند بكوعه على لوح المكتب الزجاجي وسماعة التليفون بين يديه وهو يزعق :

ـ العب غيرها ... قديمه ... ها... ها ... ها ...

فاقترب منه اسماعيل وانتهز فرصة صمت ليقول في لهفة مصنوعة وهو يبتسم بكل اسنانه :

ـ بتتكلم مع مين ؟

ومضت برهة قبل ان يرفع شلبي عينيه الى اسماعيل وهو يقول :

ـ مسعود ابراهيم .

ثم عاد شلبي الى السماعة وقال من تلقاء نفسه :

ـ اسمع يا مسعود ... واحد بيقول مين الحمار اللي بتتكلم معاه ...

ووصلت الجملة الى مسعود وعاد ردها الى شبلي فانفجرت منه ضحكات صاخبة مدوية ورفع راسه الى اسماعيل وقال :

ـ بيقول لك الحمار ده يبقى ... هاء ... هاء ... هاء ...

وقفزت من فم اسماعيل ضحكات قصيرة خشنة وقال وهو يجاري الجو مستكبرا :

ـ ابن الايه ... اسمع ... قول له ...

ولاول مرة في ذلك اليوم يضطر اسماعيل الى ان يضحك وهو يصر على اسنانه حتى لا تنقلب الضحكة الى صرخة .

لم يكن يضحك للنكتة التي القاها فقد قالها قبل ذلك مرات وسمعها من زملائه مرات ولكنه ضحك ليضفي السخرية على النكتة ويطبعها بروح التفوق والانتصار .

ولم يتوان شلبي عن نقل النكتة الى مسعود بعد ان اضاف اليها الكثير من عنده ... واحس اسماعيل ان الكلفة قد رفعت بينه وبين شلبي وان الجو قد تهيأ لكي يطلب منه السيجارة ولكنه لم يشأ ان يطلبها مباشرة في جملة مستقلة دون تمهيد فتصطبغ بالاهمية وتظهر فيها اللهفة . فقال لشلبي في صيغة مسرحية مؤثرة :

ـ تعرف ان الكالو واجعني قوي يا شلبي ...

ثم غير لهجته فجأة وقال في بساطة وسرعة :

ـ معاكش سيجاره .

ووقع شلبي في الشرك واسرع دون تفكير يشير باصبعه الى علبة السجاير في درج مكتبه المفتوح فانقض عليها اسماعيل واقتلع منها سيجارة في تلذذ ونشوة وانسحب الى مكتبه وجلس في هدوء وتراخى في استسلام ومضى يدخن في انسجام ويحرق في جذوة السيجارة الممتدة تحت انفه نباح الكالو في عروقه وتقلص الجزمة اللعينة على قدمه ... والمشوار الهائل الذي ينتظره ويقترب منه كلما خطت الساعة الى الثانية ... موعد الانصراف من المصلحة ...

القاهرة — بدر نشات

حول اكتشاف اقدم اسطورة عرفها الانسان

بقلم كاظم الجنابي
بكالوريوس آثار

✱

لقد وردتنا من الحفائر الاثرية ايضا نماذج طيبة من شعر الملاحم epice poetry معظمها قصص وحكايات تعد من أقدم ما وصل الينا حتى الان . ولا ريب في أن اكثر هذه الاقاصيص تدور حول خلق الانسان وسير الآلهة واعمال الملوك ومصير البشر وفلسفة الخلود . وحكايات ظريفة عن الحيوان وحياة البرية والغابات ، ثم عن السماء والنجوم والقمر وعن عالم ما بعد الموت وحدوث الطوفان وهول الطبيعة وغير ذلك(١) . ومن الجدير بالملاحظة ان السومريين عرفوا هذا النوع من الشعر Epice poetry واستعملوه في تاليف الاقاصيص قبل جميع الامم القديمة . ولا ننكر بان الشعوب الاندو ـ اوروبية والاغريق والهنود والتيتونس عرفوا هذا النوع من العمل الادبي في عهودهم المتأخرة .

ومن حسن الصدف ان تصل الينا من السومريين ـ لاول مرة ـ أقدم اسطورة عرفت حتى الآن ! وانها أول نوع من انواع الشعر السياسي الذي يضم اول اشارة للمفاوضات الدبلوماسية وفض المنازعات ، هي اسطورة « انمركار » ـ ذكرنا اشارة عنها في عدد فبراير الماضي من مجلة الاديب ـ مؤلفة بالشعر المنطلق(٢) باللغة السومرية ومدونة بالخط المسماري على عشرين كسرة من الطين عدد ابياتها ٦٣٠ بيتا محفوظة الان في المتحف الوطني باسطنبول عثر عليها في خرائب «نفر» احدى المدن السومرية جنوب العراق في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، نترجمها الى العربية لاول مرة ، وعلى ما يظهر من اسلوبها ان جميع قطعها تعود الى العصور السومرية الاولى :
Early post Sumerian pereod

حكايتها تدور بين بطلين احدهما يسكن في « اروك » احدى المدن السومرية جنوب العراق واسمه « انمركار » والاخر ـ مجهول الاسم مع الاسف الشديد ـ يسكن جنوب ايران في ولاية « ارتا » ولربما مقاطعة لورستان الحديثة . وعلى ما يظهر ان بداية الملحمة مفقود وقد انخرمت بعض سطور الكتابة من الكسر الاخرى نتيجة للعوارض الطبيعية في الارض وما اصاب المكان الذي وجدت فيه من خراب . الا ان سياق الملحمة وتكرار المقاطع على العادة في تاليف الشعر ونظمه ، مكنتنا من فهم بعض سياق القصة والتقارب بين اجزائها المفقودة .

فكرة الاسطورة

تبدأ الاسطورة بابراز عظمة مدينة « اروك » وانها الموطن المقدس للالهة « اننا » او « عشتار » ـ ربة الحب والحرب والجمال وام قدماء العراقيين ـ وسيطرتها السياسية وتحكمها في الارض وتفوقها على البلدان المجاورة منها مقاطعة « ارتا » في جنوب ايران . وان بطلها « انمركار » ابن « اوتو » اله الشمس الذي اراد بمشيئة اخته « اننا » ان يأمر اهل ارتا بتقديم الذهب والفضه واحجار اللازورد لبناء معبد « آبسو » في مدينة « اريدو » ـ جنوب العراق ـ وقد ارشدته بان يختار رسولا ينوب عنه ليفاوض حاكم « ارتا » بالطرق السلمية لتنفيذ ارادته. وعلى الرسول ان يكون قويا شديد الباس يتحمل مشاق السفر ويتمكن من عبور جبال « انشان »(٣) المتاخمة « لاروك » وانها على يقين من ان اهل « ارتا » سيلبون الطلب .

فعل « انمركار » ذلك وانتخب رسوله ، وقبل ان يسافر زوده برسالة يهدد بها ولاية « ارتا » وانه سيجعلها موحشة اذا لم ينصاع حاكمها لمشيئته ويقدم الذهب والفضة والبرنز لبناء المعبد المقدس وعلى الرسول ان يردد تعويذة « انكى » Enki في الشدائد ويخبره كيف ان «انكى» ـ اله المياه والامطار والزوابع ـ وضع السلطة في يده وان الذهب والفضه ومسالك الارض هي للاله « انليل » ـ اله الهواء .

مضى الرسول من اروك حتى وصل ولاية ارتا بعد رحلة شاقة عبر فيها سبعة جبال . وهناك سلم رسالة

---

١ ـ انظر مجلة الاديب عدد فبراير ١٩٥٥ حول موضوع الاساطير العراقية القديمة .

٢ ـ راجع مجلة الاديب عدد ديسمبر ١٩٥٤ حول موضوع الشعر العراقي القديم

سيده الى حاكمها فكان نصيبها الرد لان الالهة الام انننا لم تكن ملكة ل ـ اي ـ انا ـ في اروك وهي التي وعدت اخيها انمركار بان ارتا ستخضع اليه وتقدم ما يريد . قفل الرسول راجعا الى اروك واخبر سيده انمركار فثار وارعد وهدد بالحرب والخراب . وعلى ما يظهر من صلب النص ان ولاية ارتا تشكو ندرة الطعام وان حاكمها اراد كمية من الحنطة بدل الذهب والفضة وان ارتا ستكون خاضعة لامره . ولكن انننا تعرف ذلك ولم تعترف لاخيها بالامر الواقع . وبدأت المفاوضات على قدم وساق .

وذات مرة عاد الرسول الى اروك كعادته وسلم الرد الى سيده في بلاطه المحتشد وقبل ان يفضه صلى وقام ببعض الطقوس الدينية وبمساعدة آلهة الحكمة السومرية « نيدابا » اخبر مستشاريه بان حاكم ارتا يريد الحنطةبدل الذهب والفضة فوافق رجاله وقرروا ارسال الحنطة الى ارتا . وان انمركار سيرسل ايضا صولجانه وعصى السلطة بعد ان يقدم الذهب والفضة والعقيق وحجر اللازورد .

مضى الرسول هذه المرة من اروك ومعه شحنة الحنطة فاستقبله سكان ارتا بكل فرح وبكل سرور واخبروه انهم على استعداد لتقديم الذهب والفضة والعقيق وحجر اللازورد لبناء المعبد المقدس . الا ان حاكم ارتا استشاط غيظا لان صولجانه لم يصل اليه وانه لا يريد ان يكون خاضعا الخضوع التام لاروك . قفل الرسول بسرعة الى بلاده واخبر سيده انمركار بالامر فغضب وتشاءم وقرر الذهاب الى غابة « شوسيما » التي تجلب « الضوء والظل » والتي يأتي منها الظل والضياء طلبا للنجدة .

* * *

وبعد عشر سنوات على هذه المفاوضات ارسل انمركار رسوله الرابع فكان الفشل نصيبه لتعنت الجانبين . وذات مرة وضع انمركار الصولجان في يده وتأهب للحرب ليقيم الفزع في ارتا . الا انه رجع الى « شتامو » حيث وضح الامر وذكر كيف ان انننا تعارضه في ذلك . وعلى ما يظهر ان انمركار اصدر امرا الى حاكم ارتا يطلب فيه النزال والصراع معه او مع احد من رجاله الخمسين ، فتساءل حاكم ارتا ، ما نوع هذا الرجل المنتخب للنزال ؟ اسود أم ابيض او اسمر او اصفر او مرقط ، او كل رجاله يظهرون مرة واحدة ؟ عليه ان يفكر قليلا عندما يتكلم . الا ان انمركار ارسل رسوله هذه المرة الى حاكم ارتا وبيده هذه الشروط :

ـ بأمر انمركار حاكم ارتا للنزال وعليه ان يرسل احد محاربيه لمجابهته في ارتا .

ـ يطلب انمركار من حاكم ارتا ان يعد له الذهب والفضه وقطع الحجارة الى الالهة انننا في اروك .

ـ سيهدد ويدمر ارتا اذا لم يعد حاكمها حجر الجبل ويبني ويزين معبد آبسو في اريدو .

وقد دونها على رقيم طيني لان الرسول سيجد صعوبة في ترديدها اخذها الرسول ومضى بها الى ارتا . ولكن على حين غفلة ان الالهة السومرية « اشكور » آلهة المطر والزوابع جلبوا لارتا بقولا وحنطة ففرح بذلك حاكم ارتا ورد الرسالة بكل شجاعة وامر الرسول المفاوض ان يرجع الى اروك ويخبر سيده بذلك

وهنا ينكسر النص ومن الصعوبة متابعة القصة . ولكن بعض الاشارات تخبرنا بان الالهة انننا قد احدثت الطوفان في ولاية ارتا فدمرها واحل بها الخراب . وان البطل انمركار قد لبس الخوذة وتحلى بجلد اسد والتف حوله ستة من اصحابه ولربما « تموز » . والى هنا تنتهي الملحمة لان بقية السطور محطمة كثيرا يعتريها الغموض .

بعض الاستنتاجات

يستنتج من هذه الاسطورة ان المدن السومرية كانت في هذا الدور خاضعة لحكم الابطال الذين عاشوا فيالقرن الاول للالف الثالث قبل الميلاد كما عاش جلجامش ولوكال بدا . وان هؤلاء الابطال قد ادانوا عواطفهم للشعراء والمنشدين ليدونوا اعمالهم بشكل قصص واساطير . ويحتمل عندنا ان يكون البطل هذا هو الشاعر او الناظم نفسه .

ـ يظهر ان مدينة اروك السومرية لها السيطرة العليا في جنوب العراق وانها في رخاء تام ولا ينقصها الا الذهب والفضة والحجارة النادرة .

ـ ان ارتا من الناحية الجغرافية تحدها سلسلة من الجبال وانها تقع في الطريق المؤدي من مدينة انشان الى الجنوب الشرقي من ايران .

ـ يحكم ارتا « بطل » او ملك يعد الرئيس الاعلى في الولاية ويحتمل ان تكون هذه اول اشارة للحكم الملكي في جنوب ايران .

ـ يظهر ان ملوك سومر كانوا يستوردون الذهب الخام والفضة والحجارة النادرة من ايران علاوة على استيراده من شبه جزيرة العرب ايضا نظرا لتوفر المادة في تلك البقاع .

ـ اخيرا لا بد وان يكون لهذه الاسطورة نسخ اخرى مماثلة لم تكتشف بعد كما حدث في اكتشاف عدة نسخ مماثلة من الملحمة الشهيرة جلجامش في مختلف مدن العراق القديمة .

بغداد — **كاظم الجنابي**

---

٣ ـ « فؤاد سفر : مجلة سومر المجلد السادس الجزء الاول ١٩٥١ صفحة (٥٥) من مقالة « بدرة »

« من الجدير بالذكر ان جميع المدن العيلامية العديدة لم يجر التنقيب فيها لحد الان الا في خرائب مدينة السوس رغم ان تلك المدن كانت لا تقل اهمية عن مدينة السوس ومنها مدينة اوان Awan التي كانت فيها سلالة من الملوك حكمت بلاد سومر واكد وقد وردت اسماء ملوكها في قوائم ملوك البابليين القدماء وفيها ايضا انشان Anshan التي لا يعرف موقعها وقد كانت حاضرة الملوك قرونا عديدة » .

عودة المصطافة

*

هذا الصباح قمتُ متعبا   وموكب النهـــار يطلعُ
وكان في المدى.. كنيسةٌ   أجراسها النحاس تقـرع
وكانت السماء لم تـزل   عيونهـا السوداء تدمـع
وكانت السطوح رطبـــةً   والشارع الاسود يلمـع
وفي الغيوم السود فرجةٌ   كبؤرةٍ للنور تسطـــع
وتحت في الطريق..باعةٌ   صياحهم يكاد يصـدع
والناسُ.. هذا واقفٌ هنا   وآخرٌ .. عجلانُ يسرع
وفي المدى.. سيارةٌ.. لها   صدىً يكاد ليس يُسمع
في ذلك الاطار عدتِ لي   عيناكِ .. والفمُ المجمَّع
واستبشرت بالماء مهجتـي   ورايةِ الشتاء.. تُرفـَع
وقلت: هذا الصيف راحلٌ   وفصلنا الحبيبُ يتبـَـع
وفي غـدٍ تهبط عنوةٌ   اذا غدا الهواء يلســـع
وسئـــم المصيفَ أهلُه   وأجدب المغنى .. فودعوا

★ ★ ★

هذا الصباح.. كنت متعباً   وها أنا نشوان أرتـــع
والطقس قد أصبح رائعاً   ومثله في الصدر أروع
وصارت الاجراس لي أنـا   ترن .. والسماء تُقلـــع
ويفرح الجميع لي أنـــا   وكل من في الدرب يُهرع
والشمسُ.. والنوافذ التي   تفتحت .. والكونُ أجمع

★ ★ ★

فرحتُ بالشتاء راجعـاً   لانهـا فيه سترجـــع

دمشق   **شوقي بغدادي**

قصة سورية

زقاق المدار

بقلم فاضل السباعي

مهداة الى الاستاذ نجيب محفوظ صاحب « زقاق المدق »

° °°

تجمع صبية زقاق المدار حول عربة النقل ، في منتهى الزقاق ، امام دار « ابو علي النونو » ... يحث احدهم الحمار المشدود الى العربة على المضي بما قد غدا على ظهرها من احمال .. ويتحرك الحمار ويهم بان يمضي ، لولا ان ينبري صبي من بينهم ما انعدمت النبالة في قلبه ، فيهيب بالحمار الوقوف .. ثم لا يلبث ان يتقدم نحوه غلام ثالث قد بلغ من الشقاء مداه ، في يده قضيب رمان اجرد طويل ، يروح يهش به ظهر الحمار وبطنه وجنبيه ، محدثا له في ذلك الما وجيعا لم يطق معه الحيوان الاستقرار .. بينما يتطوع شقي رابع مطلقا من حنجرته اصواتا نكراء ، يهيج منها الحمار ، فيضرب برجليه مقدمة العربة .. ثم يرفع عقيرته بالنهيق ! ..

وما لبث ان خرج الى الصبية ، على نهيق الحمار ، ابو علي النونو ومن خلفه الحمال .. فما كادوا يلمحون النونو مقبلا اليهم من داخل الدار حتى تنادوا للهرب .. ولعل هربهم امد ابو علي النونو بمزيد من القوة والاحساس بالبأس ، فقد صاح بهم :

ــ امشوا من هنا يا اولاد الكلب..

فرد عليه صبي كان قد اصبح في راس الزقاق :

ــ رح طلع على « اسوم » .. ما فعلت مع « خيرو » النساج ؟ ! ..

فجعل ابو علي النونو يصرف على اسنانه بحرقة وغيظ والم مكبوت ، وهو يجمجم بصوت لم يتبينه سوى الحمال بجواره :

ــ آه .. يا ابن الحرام ! ..

في « حي العريان » بحلب ، زقاق ضيق متطاول مسدود يعرف بـ « زقاق المدار » ! .. في اوله سبيل يستقي منه اهل الزقاق ماء لشربهم ، يليه « مدار » لطحن الحناء ، الى جانبه اصطبلان ؛ اصغرهما لصاحب المدار ، تستريح فيه ، دابتاه في غير اوقات العمل ، ويشترك في الاخر ثلاثة من اهل الزقاق ، يعملون كحمالين ، ويدفعون بدوابهم وعرباتهم الى الاصطبل في آخر النهار .

وفي زقاق المدار ــ غير السبيل والمدار والاصطبلين ــ اثنا عشر بيتا ، كلها على يمين الداخل اليه ، خلا بيت واحد ــ هو بيت ابو علي النونو ! ــ فهو في صدر الزقاق .. اما الجدار المقابل ، فليس فيه من بيت او باب ، سوى بضع كوى في اعلاه ، تمد بعض النور والشمس والهواء غرفا قد انتظمت في جانب من « قيسرية العريان » فيما وراء هذا الجدار .

واهل زقاق المدار قوم اتقياء طيبون ، يتزعمهم رجلان من بينهم ؛ احدهما الحاج عبد الله المداراتي ، صاحب المدار ، وهو رجل طيب يسودهم بما له من جاه ويسارة . والثاني الشيخ عبد الحق السحار ، يقيم في بيت في منتهى الزقاق ، ما قبل بيت ابو علي النونو ، مهنته ــ ان عد عمله مهنة ــ كتابة الحجب والرقي والتعاويذ ، لاهل الزقاق ، ولمن استطار اليهم صيته من اهل الحوارى الدانية والقاصية ، فسعوا اليه يطبون تميمة او رقية او حجابا !

والجميل في زقاق المدار ان كلا من اهليه ــ على رقة حالهم ــ يمتلك الدار التي يسكنها ، ولا يملك سواها ، اللهم الا الحاج عبد الله المداراتي ، فانه يمتلك ــ فضلا عن دار سكناه ــ السبيل والمدار والاصطبلين ! .. كما انهم اوفياء لزقاقهم مقيمون على حبهم له ، لا يصرفهم عنه يسر او اغتناء .. وان « ابا » عبد الله المداراتي ــ طيب الله ثراه ــ ظل في زقاق المدار على ما افاض عليه المدار وصناعة الحناء من غنى عريض ومال وفير ، وهو الذي احتفر ، في حياته ، صهريجا جعل منه سبيلا للسقيا ، حتى بات السبيل علما على راس الزقاق ! ..

على ان رجلا واحدا قد عق زقاق المدار عقوقا لم يسبق له ــ في زعم سكانه ــ مثيل .. ذلك هو كرمو السمان .. فقد كان يشتغل بقالا في دكان صغيرة في « سوق الصغير » . ثم جعل يتاجر بالسمن والزيت ، فامده الله في ذلك بربح دافق موصول يسرت معه حاله وفاض به الثراء .. فما هان عليه ــ من يومئذ ــ ان يبقى في زقاق المدار ، مسقط راسه وملعب طفولته .. فاقتنى دارا على الطراز الحديث ، في « باب النصر » ، بعيدا عن العريان وما يليه من « سوق

النحاسين » بقرقعته وضجيج المطارق فيه تنهال ، طول النهار ، على صفائح النحاس حتى تحيلها الى صحون وقدور ...

وقد رغب كرمو السمان عن داره تلك التي يملكها في زقاق المدار ، فاحب ان يبيعها ، ولكنه ، من قبل ذلك ، بعث بمن يعلن لاهل الزقاق اعتزامه بيع الدار ؛ فمن رغب منهم بالشراء فهو احق بالشفعة للجوار . وتهافت عليه بعض من جيرته — اولئك — الفقراء ، يدفع كل منهم ثمنا للدار يضاهي ما يدفع جاره ، بخسا وتفاهة .. والدار — في راي كرمو السمان — تفوق قيمتها ما دفع هؤلاء مجتمعين .. وانما اطمعهم فيه انه قد اغتنى وانهم ما زالوا في غير يسارة ! .. اذ ذاك لم يجد بدا من ان يبيعها لاي من الاغيار ..

وقد كان .. فقد باع كرمو السمان داره لمن يدعى بابو علي النونو ! ..

وكرمو السمان لم يتقصد ان يبيع الدار لهذا الرجل بالذات .. انه قد اطلقها للبيع بواسطة سماسرة العريان ، فكان ان جاءوه بهذا المشتري ، الذي دفع في الدار ثمنا مناسبا ، فتم البيع ، وكانت — من بعد ذلك — سكنى المشتري الجديد .. ذلك ما يزعمه كرمو السمان ! .. اما اهل زقاق المدار ، فانهم لعلى يقين من ان كرمو السمان — اذ باع الدار لابو علي النونو — انما كانت تشوب نفسه حفيظة من اهل الزقاق وغضبة وسوء نية ! .

وابو علي النونو ، هذا ، صاحب دكان في « سوق العريان » يصنع فيها المقاطف والزنابيل من اطارات السيارات ؛ يشتري الاطار ، وقد قرضته من طرفيه نواجذ البلى ، ويروح يعمل فيه سكاكينه ومباضعه حتى يفصل طبقاته بعضها عن بعض ، ثم يجعل منها زنابيل ومقاطف ، ويدفع ، بما يتبقى منها بعد ذلك من فضلات ، الى صانعي الاحذية الشعبية الحمراء التي ينفرد بصنعها الحلبيون ! ..

وكان ابو علي النونو يقطن في « حي المشارقة » في غربي المدينة ، بينما كان سوق العريان الى شمالها الشرقي ادنى . فكان بعد الشقة يكلفه من امره في التنقل رهقا .. وهو ، منذ سنوات بعيدة ، يبحث في العريان ويلوب عن دار قريبة الى مقر عمله يشتريها ، فلا يلقى لبغيته متحققا . الى ان اتاه السمسار ، من حوالى الشهر ، ينهي اليه امر دار كرمو السمان في صدر زقاق المدار . فاستطار ابو علي النونو للخبر فرحا ، فموقع الدار عين طلبه ، لا يبعد عن دكانه سوى مسيرة خمس دقائق ! .

ثم كان ان عاين ابو علي النونو الدار وتفرج عليها : صحن للدار على شيء من الاتساع ، في صدره — مقابل الباب — مصطبة صغيرة تظلها دالية عارمة بعناقيد العنب ؛ انها لتصلح لساعات « الكيف » ! ... والى اليمين غرفة ، تعلوها « علية » ، يرقى اليها بدرج ، تحمل الى الهاجع فيها رقيق النسائم في ليالي الصيف القائظة تلك . وما كان في الدار ، من بعد ذلك ، شيء يسترعي الانتباه .. سوى « كوة » — ليتها ما كانت ! — في اعلى الجدار ، المقابل للغرفتين ، تمد بالنور والشمس والهواء صانع النسيج اليدوي القابع خلفها في « قيسرية العريان » ، وتستمد منه غناء شرقيا حنونا ، تخالطه اصوات تشغيل المنسج اليدوي ، وتدفع بها جميعا الى الدار طوال اوقات العمل في النهار ! .

وبعد ايام .. كانت الابواب ، في زقاق المدار ، تنفرج بعض الانفراج عن نسوة متطلعات مترقبات ؛ ترسل احداقهن نظرات تريب وتوجس ، الى عربة نقل كانت تدخل الزقاق تقصد منتهاه .. ومن خلفها الساكن الجديد ، وصبية تلتحف الملاءة السوداء ! ..

ان اهل الزقاق — في الحق — ما اضمروا للرجل شرا ، ولا بيتوا امرا ، وان كان في حلوقهم غصة وفي عيونهم دمعة ، لانه ما استطاع ايهم شراء الدار من كرمو السمان .. ولكنهم تريبوا من الساكن الجديد وتوجسوا مخافة ان تتنافر — في الغد — الاخلاق وتتجافى الطباع ، وهم لا يعرفون من خبره شيئا ! .

ولقد راوه — في دخلته الى الزقاق — ضئيل الجسم مهزولا .. الا ان له شاربين اسودين طويلين ، ينمان عن عناد وبأس واعتداد ، ويبدو انه يبذل في تهذيبهما جهدا زائدا وعناية فائقة .. ولعله يعوض بهما عما في جسمه من ضآلة وتهافت وهزال ! .

وفي خروج ابو علي النونو — في اليوم التالي — الى عمله ، مر بالحاج عبد الله ، في مداره ، والقى عليه تحية الصباح .. فاستوقفه هذا يجاذبه الحديث . ولقد راى فيه الحاج عبد الله المداراتي — في اول هذا اللقاء — رجلا طيبا وديعا ؛ فشرع يصوغ له في خياله صورة رقيقة الحواشي متجانسة الالوان ، ليعلنها — بعيد اللقاء — لاهل الزقاق المترقبين المتشوفين ! .

وقد ساله الحاج عبد الله المداراتي عما اذا كان متزوجا ؛ يقصد — في ذلك — الى ان يعرف من تكون تلك الصبية التي دخلت برفقته الدار يوم امس ، فاجاب النونو بشمم :

— اعوذ بالله .. انا اتزوج ! !

— ولما لا ، يا ابو علي

— ليس في الزواج الا وجع الراس لا اكثر ولا اقل .

فاصاب الحاج بعض العجب من هذا الكلام ! . ثم سال بعد هنيهة :

— ومن يكون علي الذي تكنّى به؟

— انها كنية الصقت بي منذ صباي ..

وتفكر الحاج قليلا بالصبية التي

في الدار ، ثم قال مستفسرا :
– يعني .. الم يسبق لك ان تزوجت ؟
– بلى ..
– واين زوجتك اذن ؟ ..
– في الجبانة .. اعطتك عمرها .. واراحتني ! !
فازداد عجب الحاج الداراتي من منطق النونو :
– اكانت زوجتك متعبة الى هذا الحد ، يا ابو علي ؟ ..
– الحق ، يا حاج ، انني رجل « صاحب مزاج » .. تتوق نفسي ، في الامسية والاخرى ، الى « تعمير » مائدة، في داري، ادعو اليها الاصحاب والاحباب .. وكانت مطلقتي – سامحها الله – بنت مشايخ .. تأبى علي هذا الصنيع ، وتشتجر معي في كل يوم من اجل ذلك ..
فادهشت الحاج عبد الله المداراتي هذه المجاهرة بالاثم والخطيئة .. ولكنه دارى دهشه فما ابداه على محياه ، ريثما يتأكد من ان اذنيه لا تخدعانه . قال يسأله مستفهما :
– وبماذا تعمر مائدتك عادة ، يا ابو علي ؟
فتدانى منه النونو ، لئلا يسمعه من في المدار من اجراء ، وهمس في اذنه :
– ابوجد املأ للراس ، وادعى للكيف ، من « حليب السباع » (1) ، يا حاج عبد الله ؟ ! ..
فذهل الحاج من هذا القول . وهو في ذهوله سأله النونو :
– اتفضل مشروبا اخر ؟ ..
فبلغ الضيق بالحاج عبد الله المداراتي منتهاه ، وما ملك ان صاح بمرارة واسى :

– استغفر الله العظيم .. شرب الخمر حرام .. الا تعلم ذلك ، يا ابو علي ؟ .. اللهم اعف عنا ، يا رب ، آمين ! ..
اذ ذاك فطن ابو علي النونو الى انه لم يكن يخاطب ندا من انداده ، بل تقيا ورعاحاجا ما عرف في حياته طعم الخمر .. وقطع عليه تفكيره ان سأله الحاج عبد الله المداراتي :
– ومن تكون الصبية التي كانت معك يوم امس ؟ .
فتفكر ابو علي قليلا ، ثم قال :
– انها بنتي اسوم ..
ومضى ابو علي النونو الى عمله ، بعد ما اعمل – برعونة ، ودون ما قصد ! – يد المسخ والتشويه في تلك الصورة التي كان قد شرع الحاج عبد الله المداراتي في صوغها له في مستهل هذا اللقاء .. حتى جعلها تمثل اصدق التمثيل رجلا خليعا ماجنا لا يعرف حرمة للدين ! ..
وانطلق من الزقاق ، بعد لحظات ، عبد السميع بائع « الهريسة » ، يدفع امامه عربته الصغيرة .. ثم محمد السواس ، تعانق ظهره قربة عامرة بالسوس ، وهو يتلو بعض الادعية والاوراد التي تعود ان يتلوها كل صباح كي يمن عليه الله بالرزق .. ومرا بمدار الحاج عبد الله ليصبحا عليه ، فبصرا بالشيخ عبد الحق السحار هنالك ، وكان قد سبقهما بهنيهات ، ليمضي ساعات الصباح في المدار ، عى مالوف عادته كل يوم ! .
وراح الحاج عبد الله المداراتي يحكي لهم – هادرا ساخطا – حديث ابو علي النونو الذي جرى منذ لحظات ، ويدفع اليهم بالصورة التي قدر ، في ذلك الحديث الخاطف ، ان يصوغها للساكن الجديد .. فابدى عبد السميع ، بائع الهريسة ، امتعاضه من هذا الرجل .. وتعوذ الشيخ عبد الحق السحار بالله من هذا الشيطان الرجيم .. واقسم محمد السواس –

وهو شاب فارع عريض متطرف في ورعه وتقاه – ان يربي ابو علي النونو بهذا الزند ان هو دعا اصحابه الى امثال تلك الليالي التي حدث عنها، في هذا الزقاق الشريف !
وشاع خبر ليالي النونو بين اهل الزقاق ، كما يشيع الاحمرار في مقلة الغضبان ، مقرونا بالسخط الشديد على كرمو السمان الذي تعمد ان يحل محله في الحي فاسقا ! .. وتساءلوا عما اذا كانت بنت النونو – اسوم – تبقى في الدار ، في تلك الليالي ، ترقب صنيع ابيها وصحبه ، ام انه لا تزال بعد في راس ابيها حشاشة من نخوة وشرف تجعله يدفع بالبنت الى اقرباء له ليس في بيتهم شرب وسكر ومجون ؟ ..
ولكن .. ما كان بمستطاع اهل زقاق الدار ان يفعلوه بازاء ابو علي النونو ، ان هو احيا ، في الزقاق ، ليلة من لياليه الماجنة التي حدث عنها ؟ ! ..
بعد ان استقر المقام بابو علي النونو واطمانت السكنى ، جعل يتوافد اليه ، في زقاق المدار ، في الامسية بعد الامسية ، بعض من اصحابه اولئك ، وكلهم اخو خلاعة ومجون .. فكانوا يجلسون على المصطبة ، تحت الدالية التي ينبعث من بين اوراقها نور كهربائي وضاء ، الى مائدة قد رصت عليها الاكواب و « بطات » العرق ، وتناثرت صحون « المازه » ما بين زيتون ، وعصافير مشوية ، و « بسطرمة » لحم خنزير ! ... ثم هم ، من بعد ذلك لا يحجمون عن فتح باب الدار حتى اخره ، فيبدو لهم زقاق المدار ، من مجلسهم ، وقد لفه ظلام دامس ، لولا ان سطع ، في اوله امام السبيل ، مصباح البلدية الكبير ، فيتأنسون بمرأى اشباح تمر من تحته ! .. وانهم ، في نشوتهم تلك ، يرفعون عقيرتهم بالغناء ، تارة ، ويطلقون دعابة وضحكا موصولا ، تارة اخرى!.

1) « حليب السباع » في عرف العامة ، في بلدي ، هو : « العرق » ، الخمر المعروف . ولعل الداعية إلى تشبيهه بالحليب ، ابيضاض لونه عندما يخالط بالماء لدى حسوه .

بينا تكون اسوم — في كل ذلك — في العلية ، وقد سادتها عتمة وسكون .. تمد راسها ، بين الفينة والفينة ، اليهم من النافذة ، فتبصر صنيعهم ، وتسمع غناءهم ، وتعي اذناها كل ما يطلقون من مزاح ودعابات ماجنة نكراء ! !

كل ما فعله اهل الزقاق .. انهم كانوا يتواردون الى الحاج عبد الله ، في مداره، مبدين سخطهم واستياءهم على افعال ابو علي النونو تلك ، الذي ما راى له الزقاق — مذ كان زقاقا — مثيلا ! .. وكان اشدهم سخطا على النونو وغضبا واستياء ، جاره الشيخ عبد الحق السحار ، فانه يقسم بالله العظيم انه — ليلة ان يمجن النونوويقل حياؤه — لا يعرف الكرى الى عينيه من سبيل ، من تواصل .. بذيء دعابات صحب النونو ، وصاخب فهقهاتهم ، ومنكر غنائهم ، الى سمعه وسمع اهل بيته ، عبر الحائط ! .

وقد كلم الحاج عبد الله المداراتي ، اكثر من مرة ، ابو علي النونو ، في هذا الامر .. طالبا اليه ان يكف عن هذا الصنيع ، توقيرا للدين ، وارضاء للجيران .. ولكن النونو كان يجيب بان علاقته بربه مما لا شان للغير بها ، اما الجيران فليس من حقهم ان يحدوا من حريته في استعماله داره ، وانه — ما دام ملاكا — حر في ان يفعل داخل داره ما يحلو له ، لا يسمح لاي من الجيران ان يساله في ذلك .. ايسال هو جيرانه عما يفعلون في عقر دورهم ؟ ! ..

وراح الشيخ عبد الحق السحار يتغضب على ابو علي النونو بكرة وعشية ، ويدعو عليه ، عقب كل صلاة ، بخراب بيته ، وتشتيت شمله وفضح بنته اسوم .. ما لم يهده الله سواء السبيل ، فيقلع عن السكر والتماجن وانتهاك الحرمات ! ..

افيستجيب الله للشيخ السحار ؟.

كانت بنت النونو اسوم — مصغر « اسماء » صبية في سن الخيال والاحلام . تقوم وحدها بتدبير المنزل ، من طبخ وغسل وترتيب ، لا تساعدها في ذلك ام او خادمة .. وانها ، في ذلك ، لسعيدة راضية كل الرضا ، ترفع من صوتها مغنية ، بين الفينة والاخرى .. بينما يطرق سمعها ، طوال ساعات النهار ، صوت تشغيل المنسج ، ينبعث من الكوة في اعلى الجدار المقابل للعلية ، في رتابة منتظمة ، يصاحبه ، في معظم الوقت غناء عذب حنون ! ...

وذات صباح ، واسوم في العلية تقوم بتطبيق الفرش .. رفعت من صوتها تردد اغنية : « ع الميجانا » .. وكان خيرو — الصانع — من وراء الكوة في قيسرية العريان لم يبعث الحياة في اوصال منسجه بعد .. فصافح سمعه وقلبه هذا النغم الهادىء العميق ، فما كاد منه الا ان اعتلى صندوق «المواسير» واطل من الكوة ، تصول عيناه بحثا عن صاحبة هذا الصوت الرخيم .. فبصر بالبنت اسوم ، في العلية قباله ، تطبق الفرش .. وقد تضوع من حواليها عبير الصبا والانوثة والجمال .. فهي ممتلئة الجسم ، ناهدة ، عبلة الساعدين ، يكشف عنهما كمان للثوب متقاصران يدفعان عنها حر ذلك الصيف ، مثلما بهره ابيضاض بشرتها وصفاء اديمها ! .. فاطال في اطلالته ! يريم من الكوة ، والبنت ، في ذلك تغني في هذا اللحن الشجي ، غافلة عن عينين متقدتين مصوبتين اليها من الكوة ! ..

واصبح — من يومئذ — من جاري عادة خيرو النساج ان يوقف منسجه بين الساعة والاخرى ، ويعتلي الصندوق ، ليطل من الكوة الى اسوم ! .. فيراها فيما تبدو فيه فتاة في بيتها من حال .. تدبر المنزل حينا ، وتغني ، حينا اخر ، وتتزين في العلية امامه قبالة المراة ، حينا ثالثا .. ولكنه ما رآها الا مرة واحدة وهي .. تبدل ثيابها ...

كان ذلك في احد الاصباح .. حيث قامت اسوم الى صندوق الملابس ، وحملت بقجتها ، وقعدت على « الطراحة » ، في مواجهة النافذة في العلية . وليس يدري خيرو النساج اي احساس ملهم دفعه — اذ ذاك — الى ان يقف خلف الكوة .. فرآها .. وقد تناثرت حولها ثياب نضتها ، في التو ، عن بدنها ، لم تزايلها بعد حرارة الصبا وعبق الانوثة .. فندت عن الفتى صرخة اعجاب لم يقو على حبسها في حلقه ، رفعت اثرها اسوم عينيها الى الكوة ، فارعدها ان وقع بصرها على وجه شاب تنطق ملامحه بالرجولة ، وتنبعث من عينيه نظرات اعجاب صارخ مثار .. ولكن اللئيمة حولت بصرها عن الكوة بسرعة ولباقة معا ، متظاهرة بالبحث عن مصدر الصرخة فهي لما تعثر على صاحبها بعد!.. ثم لما اعياها البحث والتطلع ، عادت الى ارتداء نظيف ثيابها ، بداخلها شعور بالاستلذاذ عارم غامض اغلق على فهمها ادراك كنهه ...

ولم يفطن اهل المدار الى هذه الحادثة التي وقعت في زقاقهم .. مثلما جهلوا — خلا الشيخ عبد الحق السحار ، جار النونو — ما تلا ذلك من احداث ... وانما هم يذكرون جيدا عصر يوم امس .. اجل يوم امس .. وقد دخل فيه الى الزقاق شاب يلبس « الصاية » الحريرية

المقلمة ، وفي قدميه « الشاروخ » وعلى شعره وردائه بعض نسالة غزل تنم عن انه نساج ... وكان في عجالة من امره ، في طريقه الى صدر زقاق المدار ! ..

ولقد راى فيه - في الحق - الحاج عبد الله المداراتي ، اذ لمحه في فم الزقاق ، وهو في داخل المدار ، وجها غريبا ما سبق له ان رآه يلج زقاق المدار من قبل ، ولكنه وقف في تربيه عند هذا الحد ، غير منساق للتطلع الى اي البيوت يقصد هذا الغريب ... الى ان اقبل عليه - بعد هنيهات - الشيخ عبد الحق السحار وفي وجهه امر ، لينهي اليه ان غريبا قد دخل بيت ابو علي النونو ، وان هذا الغريب ان هو الا ذلك النساج الذي طالت رقابة الشيخ له من بيته ، هو يطل طول النهار ، من الكوة في قيسرية العريان ، الى بيت النونو ! !...

وتعوذ الحاج عبد الله المداراتي من صنيع بنت النونو ، ولعنها الف لعنة كما لعن اباها من قبلها . ثم بعث بمن ينادي ، في الحال ، محمد السواس الذي ما بارح بيته في ذلك العصر . ووقفوا للداخل الغريب بالمرصاد ... حتى اذا خرج من بيت النونو ، بعد لحظات قصار ، تصدى له محمد السواس بطوله ومهابته ، وساله عن بغيته في هذا الزقاق ؟.. فكان ان اجابه النساج بان هذا الامر لا يعنيه ! . وسرعان ما عاجله محمد السواس بلكمة على صدغه ، ثم ثنى باخرى على ام راسه ، فانطرح النساج ارضا ، فاحتمله محمد السواس ، ورماه بعيدا عن زقاق المدار ..

وحذر الشيخ عبد الحق السحار اهل الزقاق من ان يصل خبر الفضيحة الى علم ابو علي النونو في دكانه في العريان . ثم قام الى صبية الزقاق يلقنهم كلاما اوصاهم بترديده في لحن حفظهم اياه ، ان هو اعطاهم اشارة بذلك ، في مقدم النونو من دكانه الى الزقاق بعد قليل ! .

وعم خبر الفضيحة الزقاق جميعا ، فانطلق الرجال الى المدار ، يتناقلون تفاصيلها من الشيخ السحار ، مبيتين للنونو شر الامور .. بينما راح جمع الصبية ، في فم الزقاق ، يتزايد متصايحين مبتهجين بما سيقدمون عليه من امر شيق ما اقدموا على مثله من قبل ..

واقبل ابو علي النونو بضئيل قامته ، وهزيل جسده ، وطويل شاربيه ، قبيل المغرب ، الى الزقاق . فلما رآه الصبية جعلوا يتصايحون مهللين .. فخرج اليه الحاج عبد الله المداراتي ، ودعاه للدخول الى المدار ، فدلف النونو ، غافلا عن الامر ، الى حيث راى رجال الزقاق جميعا محتشدين ، وفي عيونهم خبر ايما خبر .. فاعتراه من كل ذلك عجب وذهول وارتباك !..

ثم راح الحج يقص على النونو حكاية حب النساج وبنته اسوم ، وما جرته على سمعة زقاق المدار من فضيحة شائنة ، لم تتسامع بمثلها ازقة العريان ، طوال الستين السنة التي عاشها في الزقاق .. فجعل النونو يدافع هذه الفضيحة عن عرضه ، مقسما بشرفه ان ما بذل في تربية بنته اسوم يحول بينها وبين مجرد النظر الى اي من الرجال .. فرد عليه محمد السواس بانه قد انتزع النساج بيديه من صحن الدار !.. فكذبه النونو ، واتهمه بانها مكيدة مدبرة من اهل الزقاق للنيل من اعتباره وجلب العار عليه .. ثم اكد ان بنته اسوم لاشرف بنات زقاق المدار جميعا !!..

وفيما كان رجال الزقاق يحتجون على مقال النونو الاخير ، كان الشيخ عبد الحق السحار يشير للصبية خارج المدار ، بما اتفق عليه من اشارة .. فما لبثت ان انطلقت اصواتهم من حناجر حادة فتية ، تشق فضاء الزقاق مثلما تشق سمع النونو ، مرددة بايقاع رتيب : « بنتك يا نونو عابت .. بنتك يا نونو عابت .. » !!

فاخذ ابو علي النونو بهذا الهتاف المشين ، وخرج اليهم من المدار محاولا اسكاتهم عبثا .. فضاع صوابه وند عنه رشده ، فهجم على اقرب الصبية اليه يريد ان ينزل عليه لطمة من يده ، ولكن الصبي تحول عن مهواها ، فمالت قامة النونو الى الامام من فرط ما اودع في اللطمة من عزم وقوة ، فتتدافع عليه الصبية ، مرددين هتافهم بحماس عجيب .. ثم لم يجد النونو بدا من ان يلوذ ببيته في صدر الزقاق ، والهتاف يطرق مسمعيه اشبه بمطارق من فولاذ ..

ثم ما وعى نفسه - اخيرا - الا وهو يركض امامهم هاربا ، وقد تطاول في نظره زقاق المدار ، والصبية من خلفه يهتفون ذلك الهتاف المشين !! .

وفي ظهيرة اليوم التالي ، تجمع اهل الزقاق في مدار الحاج عبدالله ، بعد ان مضى ابو علي النونو ببنته واثاث بيته ، مخلفا وراءه الدار والزقاق جميعا ، وما اقام بينهم سوى الشهر ، عائدا الى حي المشارقة ، مسقط راسه .. وجعلوا يستعيدون مشاهد فضيحة النونو ، يرنق عليهم - في ذلك - بشر وسرور وابتهاج ، شاكرين للمولى ان هيأ لهم هذا النساج حتى كان ما كان ..

وانبرى الشيخ عبد الحق السحار ، معزيا لنفسه كل الفضل في ذلك : الم يداب علي الدعاء على النونو بخراب بيته ، وتشتيت ، وفضح بنته أسوم ؟!..

فسلم محمد السواس وحده بتابع سر الشيخ ، ولكنه ما كتم خاطرا جال في باله : فمن ذا الذي يضمن ان لا يكون الساكن الجديد من قبيل ابو على النونو ؟! ..

فانفرجت شفتا الشيخ السحار عن ابتسامة ظفر وخيلاء ، وقال وهو يهز راسه ثقة واعتدادا :

- ادعو عليه هو الاخر !..

حلب **فاضل السباعي**

صلاح لبكي كما عرفته

بقلم حارث طه الراوي

لا أشعر بالعجز عندما اكتب عن صلاح ، فما زال اليراع امينا ذليلا بين اناملي ، اجريه كما اشاء ومتى اشاء . ولن اتذرع كما يتذرع بعض العاجزين بهول المصاب الذي يكبو امامه القلم وينعقل اللسان ويموت البيان . فاذا كانت المصيبة الفادحة تترك الكاتب مكتوف اليدين فمن يا ترى يقوى على التعبير عن هولها سواه ؟

ولكني اشعر بموجة من الحيرة تغمر هذه النفس عندما احاول انتقاء الالفاظ المعبرة عن حقيقة هذا الصديق الذي اصبح ترابا تحت التراب .. والحيرة غير العجز .. فالعجز عقم والحيرة تمرد وتلمس . فليس من اليسير على اي كاتب ان يجمع اشتات عواطفه في دقائق ويرسمها على القرطاس ويتنفس الصعداء .

ثم ان العواطف التي يثيرها في النفس صديق راحل هي غير العواطف التي يثيرها الصديق الراحل اذا كان يتمتع بمواهب خلاقة تتحدى الفناء وتصارع الزمن . والمواهب متباينة ، فرب موهبة تتجسم امام البصيرة وتتوهج كالشمس فيحجب سناها كواكب المواهب البشرية فلا ترى البصيرة سواها . انه وهم لذيذ يستبد بالنفس عندما يغفو العقل في سرير العاطفة . ولا شك انك ايها القارىء الكريم قد رايت على درب الحياة انسانا اثار فيك هذه المشاعر التي اقصتك عن الاجساد والتراب والفناء .. وحملتك على اجنحة الخيالات الى العالم المثالي الذي يناديك ...

لقد كان صلاح نعوم لبكي من هؤلاء العباقرة الذين يتركون في النفس اثرا غريبا لا يتركه الا القلائل من البشر ...

عرفت صلاحا من زمان ولكن معرفتي به آنذاك كانت على الورق . كان يرن في اذني طنين الذباب ونعيق الغربان ونقيق الضفادع وكنت اسمع حفيف اجنحة الخفافيش البشرية وهي تمرح في ظلمات القرون الغابرة ، عندما سمعت اناشيد الهزار اللبناني ممتزجة مع اغاريد البلابل المهجرية . ولا اذكر اني ذكرت اسم صلاح لبكي الا وتصورته بلبلا ينهل من قارورة طيب ويغرد على فوهتها ، ولما انحدرت الى اعماق هذا القلب الحان : اديب مظهر ، يوسف غصوب ، الياس ابو شبكة ، سعيد عقل تلاشت جبال لبنان ووديانه امام البصيرة فخيل الي ان لبنان الحقيقي ، ارزة ضخمة يغفو السحاب على اغصانها التي تتنقل فوقها هذه البلابل ...

قلت ان معرفتي بصلاح كانت من زمان ، ولكنها كانت على الورق . واضيف الى ذلك انني تعرفت اليه وجها لوجه في تموز عام ١٩٥٤ عندما دعاني الشاعر الصديق صلاح الاسير لتناول العشاء في منزله الصيفي بحمانا واخبرني بان صلاحا اللبكي سيحضر الدعوة مع شريكة حياته عائده .

جلست مع الاسير في ساحة فندق الشاغور نتنادم على كؤوس الخمرة اللبنانية ، وما هي الا دقائق حتى سمعت باذن الروح حفيف اجنحة ملاك مقبل نحو الارض . فقال لي الاسير : لقد جاء صلاح لبكي فالتفت واذا برجل ربع القامة يميل الى القصر يمشي ببطء كانه يسير على طريق مفروش بالبيض ، وبجانبه امراة نحيفة ترتدي ثوبا بلون الليل ... اقترب اللبكي فماذا رايت ؟

وقعت العينان على رجل نحيف الجسم حليق الشارب مكتنز الوجه اسمره ، تراجع الشعر عن جبهته الواسعة فزاد وجهه المستطيل هيبة وجلالا ، وكانت على ثغره الواسع ابتسامة ناعمة تطفو على شفتين مرتجفتين بهدوء . وتطلعت الى ما بين الحاجبين فابصرت اخدودا ، هو الوادي الذي تتجمع فيه كآبة هذا الانسان الشاعر وتسيل بعد ان تتفجر من اعماق اعماقه . وتطلعت الى المحجرين وسمرت عيني على عينين فيهما من وميض البرق الشيء الكثير . سلط الرجل نظرته الثاقبة علي فخيل الي بانه اقتحم اعماقي بتلك النظرة الغريبة . فتعانقنا وجلسنا نتنادم فلمست في صلاح بساطة متناهية وصراحة نادرة وعذوبة في الحديث منقطعة النظير ... فقد كان شاعرنا يتحدث بقلبه باعصابه باعماق اعماقه ولم يكن متصنعا لا في حديثه ولا في اشاراته بل كان مطلقا لسجيته العنان .

ثم ذهبنا الى بيت الاسير وتعشينا ، وبعد العشاء تململ

البلبل وطفق يصفق بجناحيه ، فلم تعقه جدران الغرفة عن بلوغ السحاب والطواف في ارجاء عبقر . لقد كان وهو ينشدنا من روائع شعره ، يضع يده على صدره ثم يرفعها ببطء في وجهي كانه يحاول ان يستل من قلبه بقايا المعاني التي خانه اليراع في التعبير عنها . كانت في صوته رعشة هادئة تتدفق من قلبه واعصابه وكل ذرة من كيانه الى شفتيه ومنهما الى قلوبنا بسرعة البرق . ومنذ ذلك الحين آمنت بأن للانشاد اثرا كبيرا على زيادة روعة القصيدة .

ثم التقينا بعدها مرات عديدة زارني خلالها وزرته فأصبحنا اخوين متحابين فانهارت بيننا حواجز الشكليات والرسميات فعرفته على حقيقته وعرفني على حقيقتي . وبعد عودتي الى العراق بشهرين وجه لي المرحوم صلاح لبكي الدعوة لحضور مؤتمر الادباء العرب الذي انعقد في لبنان فالتقينا في بيت مري وسكنا في فندق واحد ، وكانت غرفة صلاح قريبة من غرفتي وكنا نجتمع نهارا ليلا ونتبادل الآراء الادبية ونتنادم مع احمد رامي وامين نخلة وخليل الهنداوي وعبد اللطيف شرارة ورئيف الخوري وكان صلاح لبكي يعيد على مسامعنا بناء على الحاحي قصيدته الخالدة « أنتِ » التي تمرد فيها على قانون القافية في الشعر العربي بتكراره قافية انتِ ثماني مرات متوالية . وقد حملتنا تلك القصيدة الناعمة على اجنحة الاحلام الى سماء التأملات اللذيذة لانها انشودة قلب ولهان ، بهره الحسن وتملكه الحب فطفق يتمتم بلسان حائر امام الحبيبة التي اصبحت لفرط هيامه بها ، كل شيء في الوجود :

اكلما لاح لي خيال   طلعتِ أنتِ
وكلما اشرق الجمال   أقول أنتِ
من حلم اللون والطيوب   والضوء أنتِ
انتِ شروق ولا غروب   طوباكِ أنتِ
ما نشوة من شميم راح   والراح أنتِ
وما اغانيها الملاح   واللحن أنتِ
يا وجعي منك في الهناء   والبؤس أنتِ
ويا انتهائي ولا انتهاء   عليكِ أنتِ

* * *

كانت شمس ايلول تسكب سيولها الذهبية على اشجار الصنوبر الشامخة في قرية بيت مري اللبنانية وكان الصباح باسما متألقا عندما كنت جالسا مع الصديقين الشاعرين احمد رامي وامين استمع الى نخلة وهو يروي لنا ذكرياته مع الشاعر احمد شوقي وغيرها من احاديثه الممتعة التي لا تنتهي ، فجاءني صلاح لبكي وقال لي والابتسامة تعربد على شفتيه : « اما شبعت من ثرثرة امين نخلة ؟ ـ تعال معي لانشدك من شعري » فنهضت وجلسنا تحت صنوبرة هرمة ، فاخرج شاعرنا العبقري اوراقا من جيبه ، وكانت قصيدة « بعض الدلال » اول قصيدة مجنحة تلاها على مسمعي ، وقد انشدها انشادا ساحرا ضاعف روعتها مما حدا بي الى ان اطلب منه ان يعيد اكثر ابياتها :

تبالين بي ؟ نعمة ان تبالي   وتجفين ، يا لشقاء الخيالِ
سألتكِ مستعطفا ان تجيئي   وهل لي أن استجاب ، ومالي؟
سألتك مستعطفا ، فرضيت   وأخلفته، والخلفبعض الدلال
وما كنتِ انتِ لو انك جئتِ   فخليكِ انتِ ولو ساء حالي
ومن قال ان ارتهاف الضياء   بنفسكِ يمحو ارتعاش الليالي
ترى كيف ادرك أي اضطراب   عراكِ فادمى وأي اعتلال
فانتِ التماع شهي الغموضِ   تكونتِ من لفتات المحالِ
وطوباكِ انتِ كما انتِ شيئا   تناهى بعطفيه فرط الجمالِ

* * *

لقد كان صلاح لبكي ناقدا ادبيا فذا وان كان لا يدعي طول الباع في هذا الباب نظرا لشدة تواضعه . فكتابه الخالد « لبنان الشاعر » الذي درس فيه الشعر اللبناني خير برهان على ما أقول . فقد قال في مستهل حديثه عن الشاعرية والجمال : « فانا لست استاذا في الادب ولا مؤرخا من مؤرخيه واني تفاديا للشطط سأقتصر على عرض الواقع اجمالا ، فاذا ما ذهبت الى رأي فتذوقا مني » .

يا له من تواضع جم . فالاستاذ صلاح لبكي من جهابذة النقد الادبي في العالم االعربي بالرغم من أنه كان مقلا في هذا الباب نظرا لانصرافه الى قرض الشعر وانهماكه بالمحاماة . واذكر بهذه المناسبة انه لما انشدت بعض قصائدي في مؤتمر ادباء العرب واختليت بعد ذلك بصلاح ، قال لي : « ارجوك يا حارث ان تبتعد عن كاف التشبيه فهي بلية شعراء اليوم » وافاض في الموضوع وصال وجال فسحرني وجعلني اسلم برأيه من غير قيد او شرط . . .

لقد كان المرحوم صلاح لبكي من جهابذة اهل النظر ومن ذوي البسطة في العلم وكان مدرسة للشعر الوجداني الرقيق ، فضلا عن انه كان حسن الترتل حلو المجاز ، وقد نزه شعره ونثره عن التعقيد والتعمية والحشو ، وكان خطيبا بسيط اللسان ، قوي العارضة ، طلق البديهة ، لا يتلكأ في منطقه ولا يتلجلج . ولم يخسره الادب فحسب بل خسره القضاء ايضا فقد كان محاميا بارعا كما حدثنا رفاقه في هذا الباب ، وله مواقف رائعة في الدفاع عن حرية الصحافة في ساحة القضاء . وقد خلف لهذا الجيل وللاجيال القادمة ثلاثة دواوين هي « ارجوحة القمر » و « مواعيد » و « سأم » وثلاثة كتب نثرية .

هذا بعض ما عرفته عن اخي وصديقي صلاح اما الباقي فسيظهر في كتاب ان شاء الله .

بغداد   **حارث طه الراوي**

الاحلام العائدة

✱

الكأس جنَّت في يـدي .. فتوار عنـي يا غـدي
لا تفجع الاحـلام ، شعت في صباي َ الاجـرد
نشوى بسحر الوهم عادت ، فارتوى الامل الصدي
تجتـر في خطواتهـا السمحـاء ماضيَّ النـدي
وتعيـد طيف الراحـة الكبـرى لقلب مجهـد
يا ليتـه قـد مات ... او يا ليتـه لـم يولـد
لهثت جوانحـه المهيضـة ، خلف باب موصـد
في وحـدة صمـاء موحشـة ، كقبـر أسـود

★★★

حيران ، حتى الذكريات تسربت من مرقدي
حتى الطمـوح تبعثرت أشلاؤه في معبـدي
حتى صبايا الشعر صدت عن هـواي َ السرمـدي
كم طفت أنسج حولها ُبـرداً ضيـاء الفرقـد
وأصـوغ حبات الندى عقداً لجيـد أغيـد
وأرش درب خيالهـا الزاهـي بعطـر المـوعـد
واذيـب قيثـاري ، يغـرد بالهـوى المتمـرد

★★★

الكـأس غيَّبت الاسـى برفيفها ... مهلا غـدي
لا تفجع الاحـلام بالصحـو البغيض ، الانكـد
عادت ، وعـاد السعد منَّاحا ... فيا ليـل اشهـد
عادت ... فقرِّي بالمنى عيني ، وصفِّـق ْ مولـدي
عادت... فيا بشراي َ ... يا ... يا مرحباً بالعَوْد !

بغـداد — يحيـى جاسـم

قصة مصرية

قطار حلوان

بقلم رضوان ابراهيم

كان فناء المدرسة يلملم بقايا الطلاب المتأخرين ، فما تطأ اقدامهم عتبة المدرسة حتى تعتريهم سرعة مرتبكة ، وتزيغ خواطرهم بين السرعة ليلحقوا بفصولهم ، وبين الوقار الواجب عليهم لناظر المدرسة الواقف بعصاه وسط الفناء يرمي هؤلاء الكسالى بنظرات حمراء صارمة ، تزيد وجيب قلوبهم ، وتغرقهم في عرق الخجل ، وتذكرهم بما اضاعوا من يومهم .

لقد قضوا بكرة الصباح في التثاؤب والتمطي ، ثم ابطأوا في ارتداء ملابسهم ، وخرجوا يلتهمون شطائر الفول على ابواب الدكاكين ، ثم لم يمسحوا افواههم حتى انسربوا وراء فتيات المدارس يلاحقونهن بالفاظ الغزل التي حفظوها من شعر امريء القيس في فاطمة او حتى من غزل شكوكو في بنت الجيران على السواء ، ويظلون يقتفون آثارهن من جانب الى جانب حتى ينفلت هؤلاء الى مدارسهن ، ويجد هؤلاء انفسهم وجها لوجه امام بواب المدرسة النوبي العملاق الذي يرى نفسه حاميا لكل فتيات المدرسة ، كما يفجأون بعقارب الساعة تسخر منهم ، وتختلس رصيد الزمن من بين أصابعهم ، فلا يذكرون الجد والنشاط والسرعة ، ولا يستشعرون الخجل الا ساعة تفجؤهم قامة الناظر السمراء الفارهة المديدة المخيفة ، ونظراته النارية المحمومة التي تربك حركاتهم ، وتلسع ابدانهم حتى يغيبوا عنها في المسالك والدروب المؤدية الى حجرات الدراسة ان قدر لهم ان يسلموا من هذا الموقف المحترق ، يضائلهم الشعور بالذنب ، فينكمشون ، وتذوب شخصياتهم الشيطانية ، ويمحى شبابهم الاهوج المتمرد الذي لا يقر على شيء ولا يرضى بشيء ، ولا تهدأ له حركة ، ولا يصبر على نظام . . .

ينسون حدة العبث في الفصول ، وعراكهم المستمر ، والثرثرة المتوالية ، والشغب على المدرسين . . .

ولا يذكرون في تلك اللحظة الا انهم ملائكة ابرار !!

وكلما ابعدت عقارب الساعة عن الثامنة كان الذنب اكبر ، وزاد الارتباك والارتعاش والجلجلة المضطربة التي تغمغم بالاسف ، وتتحمل العذر ، وتحبك القصص ، وتختلق المفاجئات من مرض الاب ، الى موت الاخوة ، الى السفر المفاجيء وحوادث المواصلات ، ثم تختم بالتوبة والندم . .

ودلفت متثاقلا ، انفض بقايا الكسل على المنعطف ، والبواب يرفع لي يده المعروقة المرتعشة الى جبينه ، وتترنح تحت شاربه الابيض الذي صبغه التبغ ــ تحية باهتة ما زلت مذهولا عنها استرجع من حولي صور ماضي القريب في هؤلاء الفتيان المتعثرين في خطوات تحملهم كارهين الى هذا المعتقل الصغير .

وكان الناظر يغير قسمات وجهه ليغتصب لي ابتسامة من بين هذه الصواعق والرعود التي يصبها على هذه الرؤوس حينما اندفع من الباب طالب يخطف خطوه ، وتتعارك في قسماته انفعالات تائهة مذعورة .

وبنفس السرعة المعهودة كان الناظر يلبس وجهه قناع الغضب ، وكان الطالب يهرول ، وعندما اقترب منا صرخ صرخات مخنوقة :

ــ داسه القطار . . مات . . اسمه مصطفى . .

ثم يبقى حلقه مفتوحا ، تموت في فراغه النبرات فلا يقوى على القول ولا على الصمت ، ولا يسعفه الكلام ولكن رجفة بدنه ، وتراكم المقاطع واصطدامها في فضاء حلقه توهمه انها ابلغ تعبير . .

ونتبادل نظرات جامدة ساخرة ، ولا نشك انها قصة كل يوم ، وان الطالب امعن في التحايل فامات احد اقاربه موتا وهميا ليبرر تخلفه . .

وحينما كنت التمس اعفاءه والناظر يهز في وجهه عصاه متهرا ، يستنطقه ويحثه على الصدق ــ انحلت عقدة لسانه ، وانطلق الكلام الذي كان يهدر في صدره الى الفضاء يروي المأساة . .

فقد دهم القطار زميله وهو يسرع نحو المدرسة ، فاحال الحياة الشابة الثائرة فيه مزقا مبعثرة . .

لقد كان يعجله الزمن ، ويلهب خطواته جرس المدرسة ، فاسرعت عجلات القطار تحول بينه وبينها الى الابد !!

ونظرت في وجه الناظر فاذا هو ممسوح من المعاني ، جامد القسمات ، مسبل الجفنين . .

وقدرت ان وقع المفاجاة قد بلد نشاط عضلاته السريعة الانبساط والانقباض . .

واشفقت ان يكون وجومه الطويل العريض عميقا ايضا فيهز بنيانه العملاق ، ولكنه طمأنني حين خرج من صمته بعملية حسابية يوازن فيها بين شواغل يومه ، الكثيرة

المتراكمة واعتصار البقية الباقية من الطلبة المتخلفين ، وبين ان يخف للتصرف في هذا الطارىء المفجيء ..

وما كنت اقل ارتباكا ولا هربا من مجرد تخيل هذه الصورة الاليمة ، ومنظر الدماء المراقة ، وقصة الحياة الذاهبة .. انها كفيلة ان تجرني الى انهيار عنيف ، واغماء طويل .

ولكن السخرية الماكرة كانت تتحفز على لسانينا ، فما سألني حتى اجبت .. انتدب نفسي المنهارة ، باحثا عنها في زوايا الهروب لادفعها الى مضمار عجيب ، تلقى فيه الموت من جديد .. وجها لوجه !!

ولست اعهد في ذاكرتي هذه الحدة ، والنشاط ، فقد طفت من اغوارها صورة ابي الذي صرعته الاقدار وهو يدفع زورق اسرتنا الصغيرة في خضم الحياة ، والعواصف تلتوي به في كل درب ، وتزار به زئيرها المحموم !!

وكان واقع الظروف اقوى من المخاوف ، ففرض علي ان اكون الفارس المنتدب على رغمي .. فجدولي خال من الدروس ، وصلتي بطلاب مدرستي العتيقة التي زاولت عملي الرتيب بها منذ بداية عملي بهذه المهنة .. وهذه الوجوه التي القاها وجه النهار بالمدرسة واوائل الليل جوابة طرقات الحي ، او متلكئة على ابواب الملاهي ، او سائرة في مواكب صاخبة ، تزحم المارة ، وتتخذ من العبث والسخرية بالناس مسلاتها ..

قد عقدت بيني وبين هؤلاء صلة اجبارية ، فما يرونني في اي جهات الحي على اية حال حتى يتصنعوا الحياء ، ويصمت موكبهم المفعم بالضجيج ، ويميل بعضهم للسلام ، او يتجرا فيلقي الي بفكاهة صبيانية ، ويومىء بعضهم بالتحية فاردها بنصف ابتسامة .. ونمضي ، وقد اعتادوا ذلك والفته منهم ، فاتخذونني صديقا سلبيا في كثير من الاحيان ، ويكفي الا انقل اخبارهم السيئة الى الناظر ، واحيانا اتطوع عندما يجد الجد ، فافض المنازعات التي تقع بينهم وبين السابلة ان وقعت .

ثم هذه القدوة التي يأخذ المعلمون بها انفسهم ازاء الطلاب تفرض عليهم لونا من الشجاعة المصطنعة ، والنجدة والمروءة ، وكل ما في هذا القاموس من الفاظ الفضائل لينظر الطلاب من خلال هذه النماذج المصنوعة الى مثلهم العليا .. او هكذا علمونا !!

فلم يكن مفر ان اكون رسولا الى الموت وانا اخوف ما اكون من لقائه ، حريص على الا اكون واياه في مكان .

ولكنني مشيت اليه على استحياء ، اصحب الناعي الذي يرتجف بدنه ارتجافا محموما من هول ما راى .

وسرت امامه ابدي التجلد ، ولكن صوتا مبحوحا يهتف من اعماقي « مكره اخاك لا بطل » واتمنى لو طال الطريق ، وتباعدت المسافة بيني وبين الموت ، وودت لو ذهبت فالفيت الخبر مكذوبا ، وتباطات اقصر الخطو عسى ان تسبقنا سيارة الاسعاف فتحسم المعركة بيني وبين نفسي .

وافيق من احلامي فاذا المسافة قد طويت في لمحة واذا زحمة غبراء تتدافع كالذباب يلتئم على العفن ،فينطلق في اعماق صراخ يعوي متقطعا ملحا كصفارة الانذار ان اهرب .. ان اتخاذل .. ان اتراجع فازور خبرا ، او انتحل واقعة ، او اعتذر بصداع مفاجىء عاقني عن اداء المهمة .

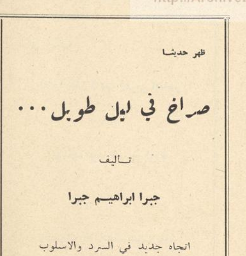
لولا ان انتزعني من خواطري الحائرة ديدباني المرافق يعلن الى الناس قدومي ، ويعرف بي ، ويؤكداني صاحب الحق في هذه التركة التي خلفتها الحياة وهي تسرع مع عجلات القطار ، فجعلتني وارثها في لحظة سوداء .

وتنقلت النظرات البليدة بيني وبين الرمة العفراء ، وتقدمت متكئا على اعصابي ، مشفقا من مصير مخجل ، متوقعا ان انطرح في اغماءة طويلة بجانب هذا الجثمان الممزق .. لكن شيئا ما قوى اعصابي ، وانساني ما اعالج من سكرات الفكرة الحائرة المشفقة .

فقد اوشكت ان انكر شخصية هذا الصريع ، انني لاعرف في صاحب هذا الاسم وجها هادىء السمرة مليح القسمات ، يعتز على انفة فقر مكابر ، ويبرق في عينيه ذكاء متواضع ، ويشد عضلاته باس الكفاح ، ويؤلف هندامه غرور الشباب المتجمل ..

فما هذه الكومة الممزقة ، وما هذه اللحوم المعفرة المختلطة بالتراب الملوثة بالشحوم السوداء ولمن يا ترى تكون ؟

اشلاء يجمع السابلة بعضها الى بعض ، وعيون جاحظة طمر التراب فيها ينابيع النور فبدت محملقة مخيفة ، واحشاء تجرجر على الحصباء ، وتنزف ماءها على التراب



الكالح المهين ، فيتشربها ولا يروى .

والناس يتحلقون وينفضون ، يجذبهم استطلاع المجهول ، ويفزعهم مرأى الموت ، فيتهاربون في زوايا الحياة، ويختفون في طياتها ليرمينا الطريق بوفود جديدة تتوارد على الزحام ، فتطاول اعناقها لتنظر — من فوق الاكتاف المتراصة — الى معالم الموت ، ثم تمضي .

نحن وقوف حيارى ، كانما ننتظر ان ينتفض القتيل حيا ، او يبعث من مرقد الهلاك قبل ان تنشلنا يد « الامن العام» من هذا الخضم او تسعفنا رحمة الطب التي تزيد مشكلة الموت بفلسفتها تعقيدا وغموضا .

ويرمينا الطريق هذه المرة بوفد عجيب ، يحدوه نحيب نسائي مولول حزين ، ظل يعلو ويتصايح ويقترب يدلف من خلفه حطام رجل احنته مطارق الحياة ، وشققت يديه خشونة الخشب ، وجمدت قسمات وجهه مرارة العيش ، وزاغ ببصره غبار السنين ..

ومن خلفهما بنيات عجاف ، على وجوههن وملابسهن الوان باهتة من الضنى ، لا تخطىء فيها التهالك والاعياء من طول ما مارست وناضلت الفقر .

وتكومت المراة كومة فيها حياة متهافتة بجانب ركام ابنها الصريع ، تريد ان تضم اليها هذه البقايا عسى قلبها يتبرد ، ولكن الناس يزجرونها لان اوامر الشرطة تمنع لمس الجثة الا بعد المعاينة والتحقيق والتشريح ، فلا تملك الا نفسها وتراب الطريق ، وهما كل ما ملكت في حياتها ، فانتحت بنفسها تلطم وتنتحب ، وبالتراب تحثوه على راسها .

في موكب الحزن الصاخب الذي يشرب الدموع والشهقات انطلق البؤس الشامت يرقص في زفة الموت ، وعلى اللسان المعول ارتعشت الحقيقة الحزينة .

لقد كان الصريع امل اسرة جاعت وتعرت لتصل به وبها الى غاية كليلة متواضعة ، وظنت انها تقترب به من الراحة الهزيلة التي اعتادت في مصر ان تحمل اسرة كسيحة على جناح وظيفة مهيضة عجفاء .

ولاحقتها حقيقة مظلمة مشبعة بلون السواد انطلقت من شفتي الطبيب الذي يعقد مشكلة الموت ، حين اخذ راسه الاصلع يتحرك يمنة ويسرة ، وبريق نظارته الذهبية يرسم نصف دائرة في الهواء ، وترتعش على شفتيه كلمات مرهقة ..

لقد تهاوى الصريع قبل ان يدركه القطار ، حين انكب على وجهه وهو يسرع ليسبقه مجتازا الخط الحديدي، فجندله الاعياء ، لان معدته الخاوية لم تمد هذا الجسم المجهد المتسارع بمزيد من الوقود .

وانطلق الطبيب العجوز تاركا وراءه عيونا زائغة ، ودوائر من الغموض ، وشفاها كالحة تمتص نفسها ، وعكف على دفاتر الصحة يسر اليها ان المدعو مصطفى .. توفي قضاء وقدرا عن سبع عشرة من السنين ، دون ان يدري او تدري دفاتره اي اعمار استنزفها ليعيش هذه السنين ودون ان يكون في حساب او في حساب دفاتره انه ينعي اسرة بتمامها .

ويترك ما اسر الى دفاتره ليعلن في تقريره الى المسئولين ان الوفاة كانت نتيجة خطأ القتيل ، وان مسئولية موته لا يتحملها سواه ، وان الموت انجاه من عقوبة كان جديرا ان يلقاها جزاء استهتاره بقوانين المرور ، وان الموت شفع له فانجاه من العقاب .. وانه لا سائق القطار ، ولا جندي المرور ، ولا الاقدار نفسها مسئولة عما حل به ، ولكنه وحده مسئول عن هذه الفعلة ، ومسئول معه ذووه الذين لم يحسنوا تربيته !!

ويتلقف رجال الامن هذا التقرير ليصدروا امر « التصريح بالدفن » مع اعفاء اسرة القتيل من عقوبة مخالفته لقوانين المرور عامدا !!

ولا تدري هذه الهيئة او تلك اي عدد من افراد يشيع الى الهاوية في هذه اللحظات .

ونسيت الانهيار والاغماء وانا اندب حياتنا المبددة على الثرى ، واشيع فردا من الموتى والافا من الاحياء حين لاحت لعيني من خلال الدموع حقيقة اخيرا حمراء كانما هي دماء الشهيد تتصايح وتقهقه وتتحدى كالطفل الاحمق العربيد ، وتتراقص على صفحات الصحف التي تخطفتها من البائع استربها ركام الصريع ، فقد زين صدرها بالخط العريض الاحمر معلنة الى الناس في سخرية :

« افراح الشعب بالعيد السعيد »

القاهرة — **رضوان ابراهيم**

شعراء خالدون : ألفريد تنيسون

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

تقع قرية سومرسبي الصغيرة في الحقول الخضر ، تحرسها الكنائس ذوات القباب الرمادية ، القائمة في وسط الضباب ، يعلوها رنين الاجراس وكأنها تبعث مع هذا الرنين بخورا يغطي القرية باريجه . وخلف هذا المشهد يمتد البحر الصخاب .

كان الدكتور تنيسون الرئيس الديني السومرسبي — وهو رجل قوي البنية ، واسع العقلية ، انشأ اولاده على وفق افكاره في جو هادىء بعيدا عن مغريات العالم . وقد انعم الرب على هذا الراعي الجليل باسرة تعدادها اثنا عشر شخصا ، وكأنه قرر بذلك اثبات حكم المحلفين jury على سعادة الحياة العائلية . اما الفريد ، ١٨٠٩ — ١٨٩٢ اقدر الاطفال ، فقد كان الاول بين هؤلاء المحلفين — وهذه تجربة في لوح الالهة تضمنت خلق روح نابغة تحت احسن الشروط الممكنة . ماذا سينتج من هذه التجربة ، ان لم يكن الانسان المتفوق ؟ واذا ما خابت في ذلك ، فان الخطأ سيكون في عدم اهلية الانسان ، وليس في غرابة اطوار الالهة . هكذا اعد المسرح للتمثيلية النبيلة .

* * *

حاز الفريد على خيال باهر منذ طفولته . وقد اضفى على المناظر المحيطة به بشبح تصوره . وذات يوم هبت ريح مارت المجنونة ، فاجتاحت الحديقة ، وعندها هجم الطفل الصغير ، الذي كان في الخامسة ، على عناصر الطبيعة ، هازا يديه ، صارخا ، « اني اسمع صوتا يتحدث في العاصفة ! » فعبارة « بعيدا ، وفي منأى » كان لها سحرها الخاص في ذهنه . حتى انه استجاب في طفولته لداعي الموسيقى وايقاع الشعر المجيد برغبة متشوقة وشوق عارم .

وفي الخامسة عشرة اقبلت عليه اخبار وفاة بايرون كأنها مصيبة مرعبة ، فاظلمت صباح حياته البهيج . فنقش على صخرة بالقرب من بيته عبارة (مات بايرون) بكل تأثر وتهيب . والحق ان بركان عاطفته كان يئز ازيزا في دخيلة نفسه . اما مظهره فقد عرف بالاحتشام والرزانة ، وطبائع الارستقراطي القح . ترعرع في جو غرفة الاستقبال، حيث اللطف واللياقة ، هما ربتا المنزل ، وحيث كانت غرائز الانتفاض والثورة محرمات « كأنهن هياكل عظمية في مخدع الاسرة . »

وفي هذه البيئة يمكن للاتجاهات الشخصية ان تشط في المنعرجات بازاء طريق التقاليد ، ولكنها لن تسير في وجهة مختلفة قط . واقصى ما وصل اليه تنيسون من ابتعاد عن قيود التقاليد هو ذلك الزجر اللين الذي صبه على اساتذته في كيمبردج لما قال « انهم لا يعلموننا شيئا ، ولا يغذون القلب . » وهذا لم يكن غير استنكار من شاعر ، وجهه ضد ضحالة الطريقة المدرسية ، فهو لم يعن في شيء بكفاح الثائر ضد حماقة العقل المدرسي .

ولما بلغ العشرين من عمره بدا كأنه نصف اله — قامة مديدة وشخصية مؤثرة ، ووجه وجبين على جانب كبير من النبل ، وصدر قوي ، واطراف طويلة ، ومظهر ملوكي . لم يشارك الناس في كلامهم الا قليلا ، وبدلا من هذه المشاركة حافظ على صمته الهازل ، مما جعله يمثل كهان الحكمة خير تمثيل . ولم يكن يخرج على صمته الا حين يستدعى لتلاوة شعره . وعندئذ يسحر كل من يقع تحت تأثيره بنغماته العذاب .

ومما اشار اليه احد اصدقائه باعجاب قوله وهو يحاوره « الفريد ، ليس حسنا ان تكون ابولو وهيركيوليس في الوقت نفسه . » وكان سفره من كيمبردج لطيفا كمكثه فيها . فقد رقص رقصته الاخيرة هناك ، على ضوء العيون الباسمة ، ثم ودع اصدقاءه وركب العربة في شارع (ترمبنكون) وشرع يبتسم في طريقه عبر السنين .

* * *

ثم حدث توقف فجائي لرتابة حياته الصاخبة ، وذلك انه دخل غرفة والده — فوجده ميتا ، بعد مضي شهر فقط من اوبته من الكلية . ولعدة ليال ظل تنيسون ينام في فراش والده عقب دفنه ، على امل « رؤية روحه » ، ولكن الروح لم تأت . » اذ كان الموت مجازفة اربكته واغرته في الوقت نفسه ، لانه لم يعد نشازا بالنسبة الى انسجام عواطفه ، بل ايقاعا سريا جديدا . صحيح انه انتزع منه (وجودا) محبوبا ، الا انه خلف مكانه سلاما مقدسا — وقفة متأملة صامتة في اغنية حياته الخالدة . وفي غضون هذه الايام ، طرح الفريد سر الموت على مائدة النقاش مع ارثرهالام ،

صديقه الحميم وزميله الشاعر ، ورفيق تلمذته .

كان ارثر خطيب املي ، اخت تنيسون ، وهي فتاة عرفت بعينيها السوداوين ، هذا ، بالاضافة الى ما عقده ارثر من خطوبة مع روح تنيسون المتطلقة المتشوقة المتسائلة . كان الشاعران يكثران التدخين ، حتى يمضي معظم الليل ، بحثا منهما عن « اسرار الآلهة » . وفي بعض الاحيان صارت املي تشاركهما فيما هما فيه ، وتعزف على قيثارتها ، على حين يستغرق اخوها عميقا في احلامه ، ويشبع حبيبها نهمه من وجهها بعينيه الجائعتين .

وذات مرة خفت انغام الموسيقى ، فتكلم الفريد على يأسه الفكري ، قائلا : « غيري من الشعراء يبارزون سر الحياة ، بينا انا العب مع اصدقائها . » ثم ذهب الى ان ارثر قادر على رؤية السر الخالد الذي يقدم فنا عظيما للحياة ، وحياة عظيمة للفن . ثم استطرد قائلا : « انك تتوجه بحزم وثبات الى ايمان محدد . وستصل الى هدفك حين يشاء الله . وفي وسعي مشاهدة ذلك في شعرك . »

« ذهب ارثر الى فينا في اجازة قصيرة . ومن هناك كتب الى تنيسون رسائل لاهبة ، يحدثه فيها عن معارض الفن بتلك المدينة ، وعن فنانيها الذين يماثلون جيورجيون ، وروفائيل وتيتيان . وفي ذات يوم انقطعت الرسائل عن المجيء . وبدلا من ذلك اقبلت كلمة مبتسرة من والد ارثر جاء فيها : « سيدي ، ان صديقك ارثر هالم لم يعد له وجود» كان تنيسون جالسا الى المائدة لما تسلم الرسالة ، فترك الطعام من غير مسه . ومن خلال الدموع التي طفرت من عينيه ، اساء الظن بحقيقة الحظ ، كيف يمكن ان يقال انه لم يعد له من وجود ؟ « لا شك في ان يد الله مسته ، فأثر الرقاد . »

* * *

والان على الشاعر الاستمرار في البحث وحيدا . فهدوء حياته اختمر بمزيج من الحزن . اذ ان احب اثنين الى قلبه اختطفا منه : والده وصديقه . فالمثل القائل « يقبل العالم هينا لينا الى هؤلاء الذين عاشوا في رخاء ورغد . » هذا المثل اثبت بطلانه وفساده . لان اللطف هو نقيض الالم ، والحكمة بنت العذاب . وكلما غدا الانسان — في شخصية تنيسون — شقيا ، اصبح الشاعر — في دخيلة نفسه اشد بهاء ورواء . لقد اصبح الان وجها لوجه امام ذلك السر الجبار المقنع الذي يدعى (المصير الانساني) . لقد طلب اليه ان يتحداه ويصارعه وينزع عنه قناعه ان استطاع لذلك سبيلا . كثيرون هم الذين دخلوا المعمعة قبل تنيسون ، من اجل مكافحة (المحارب المجهول) . حارب هؤلاء بشجاعة وقوة وشدة وبأس ، وكانت لحظات بدا فيها النصر قريبا والظفر موشكا . ولكنهم جميعا غلبوا على امرهم وولوا الادبار مقهورين مهزومين .

اراد تنيسون الفوز ليس في وسط ضجيج الجمهور ولكن في التأمل الهادىء ، ليكون له ما يريد في مقارعة الموت وسر الحياة . وفي هذه الاثناء انتقل مع والدته وبقية اسرته الى قصر منيف في غابة (ايبنغ) وهنا ، جلس وسط حديقة فيها بركة ماء ، ليتكشف مخابىء فكره . ومع هذا ، لم يقصر ايامه على تجاربه العقلية حسب . فقد كان ، بجسمه القوي ، على اشد الشوق الى الرياضة خارج البيت . ففي الصيف سار مسافات طويلة خلال الغابات ، وفي الشتاء تزحلق على جليد البركة ، في حين كانت اذيال معطفه الطويلة تتماوج خلفه . ودائما ، سواء أكان ذلك في بيته ام في الخارج ، حافظ على وضع الخطط لافكاره واسباب الايقاع وجمال الاوزان لاشعاره .

فكلمات الشاعر ينبغي لها ان تنجز ثلاث وظائف : فهي يجب ان تجهز العين الباطنية بالالوان ، وتمد الاذن الداخلية بالموسيقى ، وتوصل الامل الى القلب . وقد خاب في ادراك هذا المثل الاعلى ، باشعاره المبكرة . لان تعبيره عن نفسه ، باسلوب فخم ، عكس ضحالة تجربته . ولم يغب هذا النقص عن انتقاد اذ شعروا به في شعره . ولكن مشاعره مالت الى الرزانة بما حل به من مصائب . فوضع شعارا خاصا لشعره في المستقبل ، جاء فيه : « لا بد من تحديد جنون النمر ، وقتل عاطفة الثعبان . » والان وجد لكلامه صدى مستمرا متزايدا « لدى الف من القراء المخلصين المحبين . »

كان في الثالثة والثلاثين حين نشر مجموعة من الاشعار تضمنت فيما تضمنت (يوليس) و (موت ارثر)

و (لاينسيلوت) و (جينيفير) و (سيدة شالوت) ـ وهذه كلها اساطير شعرية تبعث الحياة في الماضي ، ذلك العالم القديم النائي الذي يبدو « اقرب من الحاضر ... كوكب سيار صالح يدور حول تلاله الخضر وجناته وكل ذلك على وفق الانسجام المتأتي من النواميس الثابتة . والحق ان نقاده واصدقاءه من اضراب كارليل وفيتزجيرالـــد وسبيدنغ ـ دهشوا لتطور شعره . حتى ان امرسون في امريكـا اشار اليه من غير تردد قائلا « ليس من اذن اجود استماعا من اذن تينيسون ، ولا احسن منه سيطرة على مفاتيح اللغة . »

وبتأثير عدد من الشخصيات ذات النفوذ ، منحه البلاط راتبا سنويا . فجرب تنيسون شروق شمس شهرته . ثم انغمس في مناقشة احدى المسائل الرئيسية يومئذ ، اعني ـ منزلة النساء العقلية والاخلاقية في مجتمع متمدن* . ففي انكلترا في العهد الفكتوري ، كان « الجنس الضعيف » يعد اقل قيمة من الجنس الاخر امام القانون ، وكثيرا ما كانت المراة تحسب متاعا في بيت زوجها .

كتب تنيسون (الاميرة) وهي قصيدة تكهن فيها عن (بيت الدمى) لهنريك ابسن ، وفيها دافع عن استقـلال الزوجة روحيا وعقليا في رابطة الزواج . فالاميرة (ايـدا) ووصيفاتها خرجن على تقاليد العصر ، وواظبن على دراسة حرة في الاكاديمية ، استعدادا منهن للدخول في حياة الحرية والتخلص من قيود الحب والزواج والحياة المنزلية . وايـا ما كان الحال ، فانهن كن يستجبن لنداء غريزة الامومة بالعودة الى القطيع ، لان اي نهاية اخرى لن يبيحها مستمعو الشاعر .

ثم انغمر الشاعر في المشكلات الدينية التي برزت يومئذ . وغالبا ما كان يزور ضريح ارثر هالام الذي كان على مقربة من البحر ذي الامواج المتكسرة « على الصخور الرمادية الباردة . » وهنا ، في موسيقى الامواج ، وتحت السماء غير المتناهية ، سمع « الاصداء الناعمة العذبة » هذه الاصـداء الملائمة للمرثاة . شرع في كتابة كلمات هذه المرثاة (في الذكرى) من اجل خاطر ارثر ، كما كان يحب ان يفعل . » ومن وقت الى آخر ، وكلما تقدم العمل انشد الابيات لاحد الاصدقاء . وعندئذ كان صوتـــه يرتجف مـــن التأثر ، فتتساقط الدموع على وجهه . استمر العمل في القصيدة فتحول من تعبير لعذاب شخصي الى فلسفة شاملة للحياة . وقد تمكن ان يقول حين انهاها « ان هذه القصيدة هي صرخة صادرة من النوع الانساني اكثر من كونها كذلك بالنسبـة الي . » انها صرخة المخلوق التعس الواقع في مخالب القدر الغشوم ، ومع هذا فقد كانت جوابا لمثل هذه الصرخة .

ذلك بان تنيسون عز عليه ادراك فناء اي من الشخصيات ذات نور العقل وجذوة الحياة . وعوضا عن ذلك اعتقد بان الشخصيات التي تفارق الجسد ، تعود الى نمط من الحياة الباهية المهيبة ـ وهذه حقيقة بالرغم من التحول الظاهر والتغيير البادي . ثم امتزجت الروح بعناصر الطبيعـــة وضحكت تحت ضياء الشمس ، وتكلمت بلغتها الخاصـــة في انين الريح . والواقع ان كثيرا من الناس شكوا في الوجود الروحي لدى الانسان ، ومن هؤلاء من تاثر تأثرا بالغا بالابحاث العلمية الاخيرة ، فكان الياس من الخلود . « في هـــذا العصر المادي ازداد الشكوكيون ، وفي عصر التطور هذا ، التبس الامر حتى لدى معظم المخلصين لعقائدهم ، فساورتهم الظنون . » ومع هذا ، ومهما يكن شكنا نحن نمقت الموت ونحن للحياة الخالدة . « واذا ما سمح الله بهـذه الفريـزة القوية ، وهذا الحنين الشامل من اجل حياة ثانية ، فهـــذا كله كفيل باحقية تلك الحياة . ذلك باننا لسنا على استعداد لنبذ تلك الآمال العظيمة التي جعلت منا بشرا سويا .

« لن تتركنا في الرغام ، وقد خلقت الانسان من غير ان يعرف لماذا ؟ »

«و قد حسب انه لم يبرا ليكون طعمة للردى ، انـت اوجدته ، وانت عادل ، فهل تخيب ظنه فيك هكذا . »

ثم ماذا عن هؤلاء الذين يربطون مصير الانسان باوطأ اشكال المادة ، ويتحدثون عن الانسان على انه ارفع نتـاج في عالم الحيوان ؟

« دع الحكيم ، الذي ياتي الى الوجود بعد الان ، دعه يصوغ عمله من طفولته على وفق القرد العظيم ، اما انا فقد ولدت لاشياء اخرى . »

والتطور ما شانه ؟ طبعا هذا حق ! فالانسان في نشوء وارتقاء ابدا ، في طريقه الى الانسان الكامل ، وكذا الحياة فهي في امتزاج مستمر بالخلود .

« حقا ، انا مع من يغني ، منشدا مع قيثارته انغاما

مختلفة »

« ناطقة عن الذين ينشرون على اديم ارواحهم الميتة ، ليبلغوا مراتب عليا . »

اما هؤلاء الذين احببناهم وفقدناهم ، فخير تعزية تسلينا هي هذه الفكرة « ليس من شيء يسير بغير هدف . . ولن تتحطم حياة واحدة ، او تلقى نفاية في الفراغ ، وقد خلق الله كل شيء كاملا . »

فالكائن البشري لن يموت ابدا ، حتى الولد الذي فقدته امه العجوز في البحر ، او العروس الشابة التي رقـدت رقدتها الخالدة تحت شجرة الدردار ، ولا الطفل الرضيع الذي اختطفه الموت ، والاب الـذي قتل في الحروب في منأى من الوطن .

« صوتك جلي في هبوب الريح ، اني اسمعك في خرير المياه . »

« انك تنهض مع شروق الشمس ، وانت بهي بهيج مع غروبها . »

ونحن الذين نترك لاحزاننا ، وافهامنا كليلة كأنهـا افهام رضيع يبحث في الظلام ، لا ينبغي لنا قط ان نستحي من مخاطبة انفسنا قائلين « لا حاجة بنا للادراك ، فنحن نحب . » ومن خلال حبنا نعيش في نعمة الله ــ

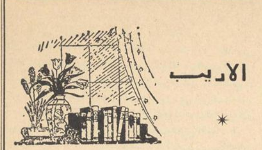
« ذلك الاله الذي يحب ولا يعرف الموت اليه سبيلا ، هو اله واحد ، وقانون واحد ، وعنصر واحد »

« وهو هدف مقدس ناء ، تسعى اليه الخليقة باسرها . »

هبطت قصيدة « في الذكرى » على الشعب الانكليزي كأنها ظهيرة رائعة من الجمال الباهي . ولقد اجتمعت كلمة رأي عدد من قادة المفكرين على « خير ما يرضي من الاشياء التي كتبت عن الحياة الثانية . » فكانت القصيدة راية التف حولها جمهور لا يحصى من الشعب الساذج ، بالاضافة الى قيادتها لنضال قلوب الناس وآمالهم . ثم ان نسخة من قصيدة (في الذكرى) وقعت مصادفة في ايدي الملكـة فكتوريا وهي في ابان حزنها لفقدها زوجها ، فهطلت دموعها على كثير من ابيات القصيدة ، في ساعات ارقها الاليفة من ليلها الطويل . وعرفانا لجميل المؤلف ، عينته سيدة وندسور الصغير ، شاعرا للبلاط ورفعته الى مرتبة اللوردات . لم يتقبل تنيسون هاتين المرتبتين بشعور الزهـو ولا بروح الاحسان . وكل ما هنالك انه ابتسم وقال « لم ينبغي لي ان اكون انانيا ولا اتقبل هذا الشرف الذي أسدي للادب باسمي ؟ »

* * *

وقبل اربع عشرة سنة من نشر (في الذكرى) حضر تنيسون حفلة قران اخيه تشارلس ، وكان حينئذ في طور التلمذة بمدرسة الشعر . وبعد انتهاء الحفلة تحدث هامسا الى فتاة تدعى اميلي سيلوود ، كانت من حاشية العروس ، وقد عرفت بلطفها وبشاشتها ، فقال لها باستحياء « ايتها



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

الشبينة السعيدة ، لم لا تكونين عروساً سعيدة » ؟

والان وقد انتشر صيته وازدادت ثروته حول صلاته البالغة من العمر اربعة عشر عاما ، حولها الى واقع حي . تزوج اميلي واستقر في وظيفة الكاهن الاعلى لفرقة العباد العموميين . ثم غدا صوت مجد انكلترا ، ونار وحيها . وقد كتب اشعارا لاهبة لتشجيع ابناء وطنه وبناته كأنه رجل اصبح في عداد الاقدمين . ترى ذلك عند التلاميذ في اوكسفورد ، فهم يحفظون مجموعة اشعار تنيسون بين صحائف (يوريبيدس) ومنهجهم لدراسة الفلسفة المدرسية. اما السيدات الصغيرات فانهن يجدنه في هدايا الاعراس . واما الضباط فينشدون اشعار (نزال الفرقة الخفية) المجلجلة ، ينشدونها لجنودهم .

حدث ان احتدم القتال مرة فوضع احد الضباط مجلدا من شعره في جيب معطفه ، فاوقف هذا المجلد رصاصة طائشة وبذا انقذ حياة الرجل . تسلم تنيسون هدايا من الغلايين وعلب الدخان من كل اطراف العالم بصورة مستمرة. وانهالت عليه الرسائل من بنات المدارس الصغيرات المتوهجات اللواتي كتبن ما اردن قوله عن شعره بحماسة نارية . وعند وفاة دوق ولنكتن كتب مرثاة الجناز وذهب الى مجلس التعزية « كرجل من طبقة السادة ، بيديه قفازان جديدان ، ثم مسح دموعه بمنديل نفيس . »

وقد دفع ثمنا باهظا لشهرته « ومن اجل سماع التحدث عنه في عرض الشارع وطوله . » اصبح عبدا لنبله سواء أكان ذلك في شعره ام في شخصه . فكان دائما انيقا ، رسمي الهندام ، مستعدا لملاقاة المناسبات ، معدا نفسه « لتقبل اي اسلوب من الشعر ، ومختلف الشاعر في اي عصر مهما تغير طابعه . »

ومن هنا ، فهو « يشبه اولئك الموسيقيين الذين يستخدمون اوتارهم من اجل كل السادة . » وهذا ما حدا بالنفوس الفطنة في انكلترا الى الاعتراف بخيبة مثل هذا النجاح العظيم الذي اصابه . فمثلا اتهمه سونبرن « بكثير من الحيلة وقليل من الاخلاص . » وكلما تدفقت القصيدة تلو القصيدة من يراع تنيسون ، صرخ قائلا « لماذا ، ليس كل هذا من الهة الشعر ، «ميوز» حسب انما هو جماع فنها. فقد ظفر الرجل بثياب «ميوز» فعلق عليها الجواهر . » ولكن قلة من الاصوات المعارضة ضاعت في الثناء الشامل والمديح العام . ذلك بانه ، في احسن احواله ، كان يصوغ ضربا من الموسيقى ، يعجز غيره من شعراء جيله عن الاتيان بمثلها ، حتى سونبرن نفسه .

★ ★ ★

هكذا كانت نتيجة تجربة الالهة — فهي قد ربت عبقرية شاعر ، تحت احسن الاحوال المحتملة . تمكن تنيسون من السيطرة على جميع مشكلاته الدنيوية . ولكن ، هل تمكن من بحثه عن الحقيقة ؟ وهل هزم (المحارب المجهول) ؟ تأكد من حين الى حين من تمزيق القناع . غير انه ادرك ، في ساعات يأسه ، وهن نبوغه في وجه هذه المهمة الجبارة . وبجهد دام طيلة حياته ، امسك باهاب انعكاس وقتي للحقيقة، وهي تلك (الجوهرة) المستخفية ابدا تحت الستار الذي لا يخرق . وهذا ما جعل (الشاعر) يضرب على غير هدى في الظلام في بقية حياته . « ايتها الزنبقة المتماوجة هناك، والتي تضحك امام الضياء » .

« عبثا تحدثينني عن جمال الارض ، بينا كل شيء دامس كالليل البهيم . »

وغالبا ما كان ، بعد العشاء ، يضع غليونه جانبا ، ويلتقط مسودة اشعاره ، ويقرا بصوت عال لحشد من ضيوفه ، وفي هذا الصوت تتجلى نغمات القوة والقدرة وسعة المجال ، وهذا النوع من القراءة جلب « المجد لعيني غلادستون واحال جورج اليوت الى سيل من الدموع . » وهذا ما عزز مركزه .

وبعد ، انه وان خاب في رؤية وجه الحقيقة ، فقد استطاع من الظفر بموسيقى صوتها . وكلما توقل صعدا على جبل اعوامه الواهنة ، لم يظهر جسمه الضخم شيئا من علامات الوهن . ففي سنته الرابعة والسبعين ، اشار بافتخار الى « احسن ما في قلبه » قائلا انه اقوى مما كان عليه في الثامنة عشرة . وفي سنته الثانية والثمانين تحدى اصدقاءه « للنهوض بسرعة من كرسي واطيء عشرين مرة من غير مسه بالايدي . »

خفق « قلبه الاحسن » بشدة من اجل امرأة انعمت عليه باربعين عاما من السعادة كانت فيها زوجته . وفي صيف عامه الثالث والثمانين احتفل هو واميلي بعيد مولده. اعطى الشاعر « عروسه » هدية من ازهار وزينة . كانا مرحين كأنهما في يوم عرسهما . وايا ما كان الامر ، سار المحبان في مقاطعتهما ، بين المناظر التي الفاها مدى نصف قرن ، ثم هبط على الشاعر احساس من الكدر . ذلك بانه عرف قرب الوداع ، واضطراره اليه . وبمضي الاسابيع تبين ان خطواته اخذت بالتخاذل . فقريبا لن يتمكن من المشي ابدا .

وفي هذا الوقت خطرت على باله الكلمات التي كتبها بمناسبة وفاة ارثر ، في كل اشجانها : « ان النظام القديم يتبدل ، ليفسح المجال للنظام الجديد . والله يحقق مقاصده بطرق مختلفة . » صحيح ان الله يحقق مقاصده ! ومصير الانسان لا يكمن في انحسار الماضي بل في فيض المستقبل. والان تأهب تنيسون للاقلاع في اتجاه البحر . ومرة اخرى، تحدث الى سامعيه المحتشدين ، بعد العشاء ، فرمى غليونه ، والتقط مسودة اشعاره ، ثم امتدت ظلال المساء ، فشرع يقرا : « ولو ان السيل سيحملني بعيدا عن تخوم الزمان والمكان ، الا اني آمل ان ارى الملاح وجها لوجه »

« بعد عبوري الحدود . »

العراق — بعقوبة **يوسف عبد المسيح ثروة**

طـيف المســاء

كانت تهاويــل الظلام تطوف في جفــن الافــق
ومدامع النور الحزين تسيل في عين الشفــق
ووســاوس الكون الرهيب الحائرات بهـا قلـق
وبقيــة الاضــواء في نار النهايــة تحتــرق
وانا الذي اعدو وحيــدا في متاهــات الضيــاء

ووقفت استوحي الغروب كآبة القلب الغريــب
اشكو له شكوى الضيــاء اليه أنات المغيب
وابثه من حزني الاواه في روحــي المريب
ذهب الضياء كما ذهبت ببسمة الفجر الرطيب
وانا بقيت هنا – بأفكاري – يدحرجني البقــاء

وخواطري الهو بهــا بين الشجـــون الحائره
احنو عــلى الاضواء تخطفها ثوان عــابــره
والظلمة السوداء تسبــح في الضفاف الساحره
تحبو كما يحبو السبات على العيون الســاهره
وانا اهدهدها بآمالي الشريدة في الفضـــاء

ويروعني الصمت الرهيب بهـدأة الكـون السكين
متسلل ؛ كالراهــب الجاثي بصومعـة القرون
متخافت الاصداء في همس بعيــد في السكـون
.. كان الضجيج يفور في اذني ويغلي بالفتـون
وانا.. هنا وحدي.. بآذاني اغاريــد الهــواء
واضم من يأسي المرير ولوعتي طيــف المســاء

وتأملاتي في المساء تطوف بالافــق البعيــد
مــاذا وراء اللانهايــة من مرافيء او حــدود
وبذكرياتي آهــة خرســاء في القلب الشريــد
تعلو بصدري حــين داعبهــا الزفير مع الصعود
وانا اناغيهــا واكتمهــا بآثـــار الفنــاء

وذكرت ايــام المواضي في نعيــم الامسيــات
ايــام كنــا كالزهور الضاحكات الباسمــات
ايــام كنــا مثل اغنية الليالي الســامرات
ايــام كنــا مثل ترتيــل العــذارى الراهبات
انــا اذكر الماضي الذي ولى باجــلال الوفــاء

انــا والذي تهواه روحي والــذي يهفو لقلبــي
وتهزه الالحــان تبكي وهي تهتــز بجنبــي
وحنــين ايامي وليلاتــي الى ساعات قربــي
ودمي الدفيء مزجته بصبابتي ودمـــوع حبي
انا لست انساه على قبر الليالي والعفـــاء

كنــا معا .. كالزهرة الفينــاء في سحر الشباب
يحنو عليها الطل اشفاقا بدمــع وانسيــاب
وينضر السحر البديع اهابها حلو الاهــاب
ويقبل الصبح الندي جمالهـــا بــين الروابي
انا لست ارسمها لــكي لا ترتدي ثــوب الفنــاء
سأضم من يأسي المرير ولوعتــي طيف المســاء

كنا معا .. انشودة الاطيار تصــدح في الغصون
وتغازل الفجر الرطيب باغنيات مـــن فتــون
وترجّــع الماضي الحبيب بذكريات مـــن حنين
هي دائما تهفو اليه بشوقهــا ومــع الشجــون
وانــا اناغيهــا بقيثــار مخــلدة البكــاء

كنا معا .. كالنضرة الخضراء يحضنها الربيــع
ويحيكها ثوبا معطرة الحــواشي والربــوع
يــكسو بها سحر الطبيعة وهي كالطفل الرضيع
تسري اليه بفتنة تختــال في الثوب البديــع
وانــا خلعت ثيابها ولبست من خيش الشتاء

.. ومضى الربيع كانه .. حلم يداعبه الوهــم
أو خيالــه الذكريات ليجتوي كأس الالــم
وثــوى هنــاك .. وراء ايامي باظلال السـأم
وخريفي المحزون يبكيــه بآهات النغــم ..
وانا ســاحكيــه باغنيــة ملوعــة الغنــاء

انــا يا حبيبي لست انسى مــا حييت ولــن أبوح
لي ذكريات الحب في قلبي المكفن بالجــروح
ودموع ايامي تطوف على اسى جفني القريح
هي لوعة الاحيــاء غنى شجوهــا قلب وروح
وانا ساورويها عــلى ثغر الخــلود الى الوفــاء
سأضم من يأسي المرير ولوعتــي طيــف المســاء

القاهرة — لمعى شلبي

قلق ...

قصة عراقية

بقلم عبدالله نيازي

✶

قلق كانت الساعة تشير الى العاشرة وثلاث دقائق و «ام نزار» ما زالت يقظة تنتظر عودة «جاسم» الذي لم يأت بعد ..

كانت منطرحة على فراشها ونظرها مثبت في الساعة المعلقة على الجدار ترقب دوران عقاربها بقلق وضيق، ولم تطق صبرا ، فابعدت الغطاء عنها وقامت بهدوء تسير على رؤوس اصابعها خشية ان تستيقظ امها التي كانت تغط في نومها فتكيل لها اللوم الشديد وتعنفها على تدليلها « لجاسم » تعنيفا قد يؤدي الى خصام يجعلهما متغاضبتين متنافرتين لا تكلم احداهما الاخرى لبضعة ايام ، كما حدث منذ شهر تقريبا ، فما كادت امها تقول لها :

ــ انا لا ادري كيف تطيقين هذا الحيوان العاق ، فلا تطردينه او تهددينه بالطرد على الاقل ..

ما كادت تقول لها ذلك حتى انفجرت غاضبة تدافع عن « جاسم » بعصبية وعنف والغضب يهز جسمها كله هزا متواصلا رتيبا ، ثم جعلت تبكي بحرقة كما لو انها كانت تنتظر مثل هذه الاشارة الصغيرة ، لتنفجر فتنفس عن نفسها ، ولكن امها ما ان رأتها تثور هكذا في وجهها وتدافع عن «جاسم» بمثل هذا الحماس، حتى شعرت بشيء يضطرب في اعماقها ويعذبها بقسوة ، فهي لا تعلم انها تفوهت بشيء يغضب او يجرح حتى تثور ابنتها عليها هذه الثورة وتمطرها بغضبها ، فنظرت اليها بحزن ودمعة تلمع في عينيها وقالت :

ــ امن اجل جاسم .. هذا العاق الشرس تفعلين بي كل هذا ؟! .. اذن ، فانت تفضلين جاسم علي ؟ اهذا جزائي! بعد ان .. بعد اي شيء ؟ خمسون عاما وانا احاول ان ابعد عنك كل ما يمكن ان يجلب لك الالم .. اتفهمين ما معنى هذا ؟ ..

ووضعت كفيها المعروقتين على وجهها وطفقت تبكي هي الاخرى وعروق رقبتها تنتفخ وتظهر بارزة كخيوط غليظة القيت على غير نظام .. وآلم « ام نزار » ان تجد امها تبكي امامها بقسوة ، فنسيت ثورتها وقامت تقبلها وتتوسل اليها ان تصفح عنها ، وتعدها انها ستطرد « جاسما » اذا كان ذلك يرضيها ولا تدعه يدوس عتبة الباب ، ولم تتركها الا بعد ان جعلتها تبتسم ، ولكنها ظلت اياما لا تكلم ابنتها الا في حالات تضطر الى سؤالها عن امر من امور الدار ، ولا تشكو لها تصرفات ــ جاسم ــ التي كانت تؤلمها ، ولا تلومها على انتظارها اياه في الليل كما تنتظر الزوج قدوم زوجها لتفتح له الباب .. الا انها لم تطق ان تكتم ما يضطرم في نفسها فقالت لها مرة بنبرة حادة وقد كانت تنتظر عودة جاسم ..

ــ ايه .. هذه هي الدنيا ، بعد ان كنا ننتظر «ابا نزار» اصبحنا ننتظر جاسم !..

فاجابتها « ام نزار » دون ان تلتفت اليها :

ــ ما عليك انت .. دعي كل شيء ونامي ..

ولكنها لم تنم ، بل ظلت تتمتم مع نفسها حتى جاء « جاسم » في الساعة العاشرة وراتها تقوم وتفتح له الباب دون ان تعنفه بكلمة واحدة ..

وكان هذا ما تفعله كل يوم ، لا يغمض لها جفن حتى يجيء « جاسم » وهو لا يعود قبل الساعة العاشرة تقريبا ..

اما اليوم فان عقرب الساعة الكبير قد تخطى العاشرة ببضع دقائق وجاسم لم يأت بعد .. وامها تغط في نومها . وما كانت تريد ان تأتي بحركة توقظها بها ، فجلست بهدوء وراء النافذة وجعلت تحدق بصمت من خلل الزجاج علها تلمح « جاسم » قادما .. ولكنها لم تجد اي اثر سوى حذا الحارس الثقيل يضرب الارض بخطوات جامدة رتيبة . وبين الحين والحين يطلق صفارته بصفير حاد يمزق السكون ، فيتجاوب صداه في الشارع الضيق للحظات ، ثم يعود الصمت من جديد وتراءى لها شبح من بعيد يسير بمحاذاة الجدار ، فاوسعت من حدقتيها وراحت تنظر وقلبها يخفق باضطراب ، ولكنه ما يكاد يقترب قليلا حتى ادركت من خطواته السريعة القصيرة وانحناءة راسه ثم رفعه الى اعلى بحركات تكاد تكون موزونة مع ضربات حذائه وتلويحة يديه ادركت انه « خليل » جارهم وزوج « سليمة » جليستها احيانا في النهار ، تجيء اليها كلما وجدت لديها ما تقوله لها ، فتحكي لها كل ما كان يقوله لها زوجها «خليل» وهو مخمور ولا تبقي في نفسها شيئا ، حتى اذا ما افرغت كل ماعندها ، قامت بتثاقل وهي تقول :

ــ ماذا نعمل .. قسمتنا هكذا ..

وعجبت « ام نزار » من عودة « خليل » مبكرا وزوجه تقول عنه انه لا يعود قبل الثانية او الثالثة صباحا على حال لا يوصف من السكر ، وهمت ان تناديه وتسأله لعله راى « جاسما » في احدى المقاهي ولكنها وجدته قد

اختفى تماما ، وهمست بخفوت :

ــ اين بقيت اليوم يا جاسم ... خليل جاء وانت ..

ووضعت يدها على فمها بحركة سريعة ، فقد رات امها تتقلب على فراشها . ومضت دقائق ، كانت تعدهـــا ثانية ثانية ولكن « جاسما » لم يات بعد

شعرت بقلبها يدق بعنف ، وخشيت ان يكون قـد هرب كما فعل منذ شهرين ، ولكنها سرعان ما ابعدت عنها هذا الخاطر ، فما كانت تطيـــق ان تتصور ان « جاسما » يهرب ثانية فذلك يكلفها البحث عنه في كل مكان كما فعلت في المرة السـابقة . وقد لا تجده في هذه المرة ، وقد يابى ان يعود ، فاي شيء تفعل حينذاك ؟! . .

وقامت لتبعد عنها هذه الهواجس ، وكادت تصطدم بسرير امها ولكنها وقفت مذهولة تحدق الى السـاعة بنظرات يائسة ، وغاضها ان العقارب لا تتمهل بل تدور بسرعة ، كما لو ان يدا خفية تحركها الى الامام ، فها هوذا العقرب الكبير يشير الى الربع بعد العاشرة وجاسم لم يات بعد . . .

كيف يمكن ان تصدق ذلك ، انه لم يتأخر عن العاشرة مطلقا فأين هو ؟.. هل حدث له شيء ؟؟.. وابعدت عنها هذه الفكرة ايضا وتمتمت .

ــ انه لم يكن يصنع مثل هذا حين كان المرحـــوم موجودا . .

بل انه ما كان يغادر البيت الا بعد ان يستأذنه ، وقد لا يأذن له ، فيقعد كالكلب لا يأتي بحركة . . اما الان . . وسمعت وقع خطوات في الشارع فاندفعت تحدق بقلق . . ولكن الخطوات كانت قد ابتعدت ولم تترك غير صدى باهت زادها قلقا واضطرابا . . انها تعرف خطوات جاسم ، تعرفها تماما ثقيلة ، بطيئة جدا ، فهو حين ينتزع قدمه من الارض كأنما ينتزع معها كومة رصاص ، وحين يضعها يضربها بقوة كما لو انه يريد ان يشعر الارض ان انسانا قويا يطؤها . . انها تستطيع ان تميز خطواته جيدا . . .

ــ انه لم يكن يصنع مثل هذا من قبل . .

وجلست تحدق الى الطريق من جديد ، انه لم يكن يفعل هذا قبلا ، ابدا لم يكن ، فما تذكر انه خالف زوجهـا المرحوم في شيء او خالفها ، ولا تذكر انه تكاسل في عمل شيء . . كان كالسـاعة في دقة عمله . . ما ان يسـتيقظوا صباحا حتى يجدوا ان كل شيء قد هيء وانه ذهب الـى السـوق ليشتري ما اوصي به مساء ، وقد لا يعود مـــن السـوق قبل ان يستيقظوا ومع ذلك فان زوجها المرحـــوم كثيرا ما كان يصرخ فيه ولا يرضى كثيرا عن كل شيء يعمله ، بل كان يضربه احيانا بحذائه في بطنه ويجعله يتلوى مـــن الالم دون ان يشكو او يتذمر او يتلكأ في عمله ، اما هي ، فما كانت تستطيع ان تقول اي شيء ، ولقد حاولت مرة ان تكف ضربه عنه فلطمها على وجهها . . فراحت تسرع الى غرفتها ، فظلت بعدها كلما وجدته يهمهم على « جاسم » هربت الى غرفتها لكي لا تراه وهو يضربه ، ولا تغادرها الا بعد ان يكون كل شيء قد انتهى . .

وكان جاسم يعمل بصمت مطبق ، لم يكن يشكو ابدا ، ولم يكن يتذمر ابدا ، بل انه لم يحاول ان يهرب او يغادر البيت ، فكان شيئا كان يشده بهم شدا او انه ما كان يخطر بباله قط ان احدا غيرهم يمكن ان يأويه . . فقد مضت عليه سنوات ست وهو في خدمتهم دون ان يغفل اشارة واحدة تصدر من المرحوم او منها او من امها .

ــ انه قد تغير تماما . . .

اي شيء جعله يتغير !. . فهي لم تسيء اليه قط ، ولم تضطره الى عمل شيء ، بل انها جعلت تعينه في اكثر الاعمال التي كان يقوم بها وحده حين كان المرحوم موجودا ، ولـم تبق له غير الذهاب الى السوق وبعض الاعمـال الطفيفة ، وكثيرا ما كان يظل نائما حتى الضحـى ولا يقوم الا بعد ان تناديه عدة مرات . . .

ــ ابدا لم يكن كذلك . . ابدا

ورغم ذلك فانه كثيرا ما كان يهددها بتركها هي وامها ويذهب . . .

وتعود ان يتأخر في الليل ولا يأتي الا والسـاعة العاشرة تكون قد اوشكت ان تدق . .

واجفلها صوت السـاعة يدق يشير الى النصف بعـد العاشرة ولم يظهر لجاسم اثر . .

ــ الدومنة . . لا شك انها هي التي جعلته يتأخر هكذا !! كثيرا ما توسلت اليه ان يترك هذه اللعبة اللعينة ولكنه لم يستمع اليها ، ولم يأبه لكل اقوالها ونصحها ، وقد يصرخ في وجهها ان هي تلكأت في اعطائه الدراهم التي يطلبهـــا منها ، فتسرع الى حقيبتها تعطيه ما يريد ويذهب ضاربا الارض بقوة وبشيء من الزهو . . .

ــ سلب منه الاوغاد دراهمه . . .

لم يكن يعرف هذه اللعبة حين كان المرحوم موجودا ، لم يكن يعرف عنها اي شيء ، ولكن رفاقه الذين تعرف عليهم بعد وفاة المرحوم جعلوه يعتادها ويذهب اليهم كل يـــوم ليعطيهم ما معه من دراهم بعدم مبالاة لا حد لها . . . وترآى لها الحارس ببندقيته المعلقة على كتفه ، وحـــذاؤه يضرب الارض بقوة كانه يريد ان يوحي الى نفسه بالشجاعة ويطرد عنه وحشة الليل ، وسمعته يتمتم بشيء لم تسمع منـــه غير مقاطع لكلمات قليلة . . « . . دراهـــم . . حنطة . . بصل . . » . . لعله هو الاخير مشغول بشيء . . وودت لو انها نادته وطلبت اليه ان ينظر من نهاية الشارع لعله يلمـح « جاسما » وهو قادم ، ولكنها خشيت ان تستيقظ امهـــا فيحدث ما ظلت تتجنبه حتى الان ؟! . .

اهرب ؟! . .

انها لم تقل له شيئا يسيء اليه ، طلب منها الدراهم ، فنصحته ، نصحته فقط ، بكلمات رقيقة وتوسلت اليه ان يقلل من لعب « الدومنة » ولكنه اختطف من يدها الدراهم وذهب غاضبا . .

ـ لم يكن كذلك ابدا ..

وخيل اليها ان باب حجرة « جاسم » يفتح ووقـع خطوات تشبه خطواته تتحرك في فناء الدار .. فانطلق قلبها يدق بعنف وجسدها يهتز بشدة ، وخشيت ان تفتح باب غرفتها فيحدث ما لا تقوى عليه .. لو ان امها كانت صاحية لاخبرتها انها لمثل هذا الامر فقط تحتفظ بجاسم ..

واقتربت الخطوات من باب حجرتها ، فجمدت في مكانها وقد التصق لسانها بفمها ، ولم تعد تستطيع ان تنطق بحرف ، وحاولت ان توقظ امها ولكنها الفتها اضعف من ان تحرك يدا .. وابتعدت الخطوات قليلا في اتجاه تعرفه .. وساد السكون ثانية .. للحظات ..

ـ لو كان جاسم هنا ؟! ..

وعادت الخطوات ثانية .. بطيئة ثقيلة تشبه خطوات جاسم تماما ..

ـ كيف يمكن ان يحدث هذا ..

وسمعت باب حجرته يغلق .. لم يبق لديها شك ابدا، وها هوذا يعود الى غرفته ، واحست بشيء من الاطمئنان .

ـ من اين جاء ؟!..

فتحت الباب بسكون وهمست بخوف :

ـ من .. من هناك ؟؟..

ولم يجبها احد .. واعادت الكرة ..

ـ من هناك ؟..

فاجابها جاسم بانفعال كما لو ان احدا اقلقه

ـ آني .. منو ..

ـ جاسم !!..

ـ ماذا تريدين ؟..

ـ الم تكن خارجا ؟..

ـ ....

ـ لم ارك تعود ...

ـ لم اذهب .. لم اخرج .. ايرضيك هـذا ؟.. اتسكتين ام ..

وشعرت « ام نزار » بنشوة عميقة تمشي في كيانها كله .. فاطبقت الباب وعادت الى سريرها ..

وما كادت تندس في فراشها وتضع الغطاء عليها حتى سمعت امها تقول لها وظهرها الى الحائط ..

ـ نسيت ان اهنئك على عودته مبكرا اليوم ..

ولكنها لم تجبها ، فعادت تقول ..

ـ جميل جدا ان يكون « جاسم » هو كل ما يشغلنا في هذا العالم ..

ولم تجبها ايضا .. وعاد السكون يخيم ..

وسرعان ما وجد النوم طريقه الى « ام نزار » فغرقت في حلم لذيذ وابتسامة مشرقة تشع من وجهها .. كانسان سعيد ينام ملء جفونه بعد ان تحقق ما كان يظنه محض حلم ...

بغداد — عبدالله نيازي

اخي الغائب

بقلم اديب الحر

●

من شرفة المنزل كان يطالعني راسه الحبيب ، بالعينين الضاحكتين ، والابتسامة المشرقة ، حتى في احرج ساعات الضيق .

وفي الجنينة ، امام منزلنا ، يسرح ويمرح كل صباح ، فيداعب شجرة التفاح بيديه النضرتين ، ويبتسم للطبيعة الهادئة بامان وسرور .

وفي المنزل والكرم والعرزال ، لكم افترش الارض صحبة اشقائه الصغار ، يداعبهم بلطف وايناس ودعة .

في هذه البقعة من الارض ، لكم جلس في حلقات اصحابه وزائريه لتمتد بهم الساعات تلو الساعات .

هنا ، في هذه الغرفة ، كنت اعايشه معظم ساعات حياتي ... والآن ، الى من تركتني ايها الحبيب ، انا وحيد انا ، في غرفتي هذه .. اتمثل ابدا ودائما شبحك امام ناظري .. آه ، ما امر الذكرى .

من شباك غرفتي الى قبر شقيقي شوق وحنين . من فراشي الدافيء الى رمسه المظلم ذكرى وانين . اهذه هي الحياة يا اخي ، تمر كطرفة عين كانها لم تكن ، والذكرى الاليمة لوجودك معنا ، تمر كسحابة صيف ...

فيا لظلام غرفتي ووحشة الطريـق . ويا لفراغ العرزال وكآبة البيت .. والجنينة وطريق العين ! .

من لي بحديث الجرار الحمر ، وشفاه الاباريق ، لم اعد اسمعها من صوتك الحلو ، وحديثك الحبيب .. لقد اقفرت الطريق وساد الظلام ..

اليوم اناديك فلا اراك ، واستجير بك فلا اجدك ، وابحث عنك فلا اعثر عليك ..

آه ما امر الغربة واقسى الوحدة .. اخي .. ومـا احلاك يا حبيبي ! ..

انا التائه اتمثل شبحك ، واتالم حسرة ولهفة .. فيا ليتني فداك ...

من جنينة البيت وغرف الدار الى دروب القرية شوق وحنين . هناك في الزواريب المتعرجة ، والدروب الملتوية ، لكم جالسته نساهر القمر الساجي ونسترق السمع الى همسات الطبيعة الهادئة ...

فلاوراق الشجر حفيف مهموس ، لنسيم الصيف

دغدغات منعشة ، كانت يده تدغدغ جسدك الطري ، وعودك الغض ، وتلاعب خصل شعرك المتهدلة على جبينك كما كانت تلاعب اوراق الشجر .

ولهمسات الطبيعة : تمتمات كتمتماتك الحلوة ، حين كنت تحدثني على انفراد ، ولا يناسيها الوداع همسات كهمساتك اللطيفة ، حين كنت تروي لي قصة الجرار الحمر ودرب العين .

.. ما امر الذكرى ، وما اشد الالم ! ..

يا من هدهدته طفلا ، وحملته صغيرا ، وعاشرته شابا . يا من قاسمني حزني وسروري ، يا رفيقي في بلوتي ، وشريكي في حياتي .. وما احلاك يا اخي ...

لقد اقفرت الطريق من بعدك .. وانتحرت الشمعة في غرفتي ... وجف الزيت في القنديل فساد الظلام ..

هجرت الغرفة وكرهت النوم فيها .

ما امر الذكرى .. وما اشد الحنين ...

هل سمعت احاديث الاباريق والجرار الحمر والخمار الابيض ... كلها كانت على درب العين ، وكان القمر الساجي يطل من عليائه ويتلصص على المحبين بعين ساهرة .. واخي كان على الدرب يروح ويجيء ، ونفسه تعمر بالامل ، وعروقه تضج بنضارة الشباب ، وحيوية الصبا .. يتنقل بخطاه الوئيدة المرحة .. والبسمة العريضة لم تكن لتفارق مبسمه الوضاح ...

هناك .. على تلك الدروب العتيقة ، لكم ماشيته بايناس ومسرة ، ولكم ماشى اصحابه بدعة وغبطة ، ولم نكن واياه نحسب لهذا الفراق المفاجيء ...

والاباريق ، هل روت لك حديثها ؟ !.. ولكم قصت عليه احاديث الشفاه ، وهمس المحبين ، وقصص العذارى ...

لخطو العذارى عندنا احاديث وحكايات ، ولشفاه الاباريق قصص لا تمل ، ولاشباح الجن روايات واساطير ، ولدرب العين حكاية ما بعدها من حكاية .

ولاخي فوق كل هذا الف حديث وحديث . ما امر الذكرى .. وما اشد الالم .

حبك اكتوبر اذيال الليل بحلقات الظلمة القاسية التي زرعها في نفسي الى الابد ، فسقاها الالم الف غصة وغصة ، وجرعها كاس الفراق دهاقا ..

يا معري الشجر وملحد اوراقها ، يا مبعثر الازهار ومشتت اريجها ، عريت نفسي وزرعتَ اخي في تربتنا العتيقة الرابضة على كتف القرية في سفح (صافي) . انها شامخة شموخ السنديانة الهرمة الجاثمة على كتف وادينا الجميل .

ايه اكتوبر ، يا ملحد اخي في تراب قريتنا العتيقة ، لي منك حزن دفين لمسته يدك .. واضفى عليه الخريف مسحة من كآبته المعتمة ، ولك مني غصة لن تفارقني الى الابد .. هي ههنا ، في نفسي ، في صدري ، وفي كل خلجة من فؤادي ...

لقد جفّ المداد في ريشتي ، ففي صدرها حشرجة الموت ، وفي حنجرتها تمتمة هي اقرب الى تمتمة المحتضر منها الى تمتمة الاحياء. لقد زرعت حزنها في نفسي وسكبته في روحي ، فكانت الما يعيش على عتبتي .. بل في حياتي الى الابد .

ايه اخي .. فدتك روحي .

اشعلت حجارة البيت يا حبيبي ، وزرعت الثكل في قلوبنا ، فذقنا غصة الفراق الف مرة ومرة .

قل لاكتوبر انك حي في ضمائرنا ، فقد حفرت صورتك في قلوبنا وسكبتها على الباب وعلى الدرب وامام المزرال.

بوركت مقبرة القرية !.. فمضجعك سقيناه من خميرة العين ودماء القلب وترابك تنضح فيه رائحة الحبيب . واعشابك تنضح بالمسك والطيب .

من شباك غرفتي الى مقبرة القرية حسرة والم ! .. من جنينة البيت الى غرف الدار ذكريات وحنين . من سطح المنزل الى زاوية القرية اشباح واشلاء . ولهذا القمر الذي يطل في عليائه احاديث وشجون . وغرفتي لها اسطورة تنطوي على ماض قريب بعيد .

وانا البائس الشريد لي الف حديث وحديث .

ضممت جوانحي والقيت على عتبة المقبرة وجهي الشاحب ، اعفر به التراب وخيوط الفجر .. هوذا الشتاء ابو القصف والرعد اتى مسرعا .. وها هي عيونه المعتمة تروي الثرى فتصفق الحشائش وفي اعماقها سر لن تبوح به ، لانه مشرع على صواري اخي ، هذا الروح التائه في هياكل الضياء .

ايه اخي .. كلانا يحرس البيت في زاوية القرية .. ولكنني لن اترك لساقي العنان امام الريح الباردة . ساخلدك بريشتي لترى الاجيال وجهك على صفحات قلبي وفي حباب الماء ...

فيا لمقبرة القرية .. ويا لرمسك المظلم ، سقيته من جرة القلب ودمع العين ، ولي منه في الاخذ غصة ابدية ، هي كل ما حملته نفسي في هذه الحياة من الم وعذاب .

وما اكتوبر لينكر ذلك اليوم المشؤوم .. انه كره الورد ، ورايته ينثر ورقه ، ويبعثر طيبه ، ويلحد كل ذلك بقدمية القاسيتين .

والآن .. ترى انلتقي في عناق شديد ، في مطارف الضياء وعالم النور .. عسى ذلك ، واليك ابعث بهذه النفحات علها ترطب عليك وحدتك وتخفف من لوعتي وبلوتي وشقائي .

اديب الحر **جبع ـ لبنان**

من ندوة رياض الصلح الثقافية

غول الحياة

للشاعر الفرنسي بودلير

●

تحت سماء فسيحة غائمة ، في مهمه سحيق مغبر ، بلا مسالك ، ولا عشب ، حتى ولا الحريقة أو نبتة خرشوف واحدة ، التقيت بالكثير من الرجال يسيرون محدودبين ! .. كل واحد منهم يحمل فوق ظهره غوله الضخم ، أثقل من كيس دقيق أو فحم ، او مسؤولية روماني من المشاة !...

لكن الوحش الهائل ليس مجرد ثقل جامد !.. بالعكس ، انه يلتحف بالرجل ، ويكبله بعضلاته المطاطة القوية ، وينشب ظفريه الغليظين ، في صدر مطيته ، فتعلو رأسه الخرافية ، جبين الرجل ، كواحد من تلك الخوذات المهولة التي يستزيد بها المحاربون القدامى من رعب العدو !..

ولقد سألت واحدا من هؤلاء الرجال الى أين يذهبون هكذا ؟.. فأجابني بانه لا يدري شيئا لا هو ولا الاخرون !.. ولكنه متأكد من انهم ذاهبون الى مكان ما .. اذ انهم مدفوعون بحاجة ضاغطة الى المسير !..

ملاحظة لافتة للنظر : ولا واحد من هؤلاء المسافرين يبدو عليه الغضب ضد هذا الحيوان الوحشي ، المتعلق برقبته ، اللاصق بظهره ، حتى ليقال انه يعتبره قطعة من كيانه !.. كل هذه الوجوه المكدودة الواثقة لا توحي بأقل يأس !.. تحت قبة السماء القلقة ، والارجل غارقة في غبار تربة اوحش من تلك السماء ، يتلاحقون بملامح التطلع لدى من كتب عليهم ان يأملوا دائما !..

ومر الموكب بجانبي مغرقا في جواء الافق ، في المكان الذي تختفي فيه ، مساحة الكوكب المستديرة عن تطفل ابصار الانسان !..

ولقد أصدرت بعض لحظات على فض ختم هذا السر ، ولكن فجأة اعتراني برود غير مدافع ، وأثقل كاهلي .. لقد أحسست اني أشقى من اولئك الضائعين تحت عبء الغول الساحق !..

تونس – القيروان　　　　الطيب الشريف

في كلمات...

● في مؤتمر الطب الذي انعقد في الولايات المتحدة اخيرا بحث احتمال تسمم الدماغ نتيجة للافرازات الكيمياوية السامة التي يفرزها الجسم حيث ان استاذ الطب الدكتور مارك التشول في جامعة هارفرد بحث استعمال الجسم لمادة «ابنفراين» والتي تسمى احيانا «اورنلين» حيث ان المعروف بان هذه المادة تؤثر على نشاط الاعصاب فافرازها الزائد يسبب تسمم الدماغ .

● ازيح الستار في باريس عن تقرير وضعته الجمعية الطبية للمستشفيات في مدينة ليون عن السموم الموجودة في الفيتامين «د» وجاء في هذا التقرير انه بعد ملاحظات كثيرة لوحظ ان الامهات اللواتي يتناولن كثيرا من فيتامين «د» اثناء الحمل يضعن اطفالا معتوهين . وقد احدث نشر التقرير هزة في جميع الاوساط والمجتمعات الفرنسية .

● جاء في احدى المجلات الطبية الامريكية ان العلم قد وفق الى اختراع دواء يمكنه التخفيف من وطاة ضغط الدم المرتفع كما يفعل عقار الانسلين في التخفيف من وطاة مرض السكر . ويقال ان هذا العقار الذي يمكن تعاطيه بشكل حبوب يستخرج من مركب الكلسترول من اجسام بعض الحيوانات .

● يعد خبيران من اكبر خبراء مكافحة الملاريا برنامجا لحملة واسعة النطاق للقضاء على الملاريا في بلاد الشرق الاوسط . وهذان الخبيران هما السير جوردون كوفيل مستشار وزارة الصحة البريطانية والمدير السابق لمعهد الملاريا في الهند والدكتور بول راسيل من مؤسسة روكفلر وقد التحقا بهيئة الصحة العالمية وبدءا بالفعل نشاطهما في هذه المنطقة حيث توطن هذا المرض منذ الوف السنين .

والمعروف ان الدكتور راسيل هو اول من فكر في حماية الاهالي من مرض الملاريا برش مسحوق الـ د.د.ت على جدران الابنيةواجريت اول تجربة لهذه الطريقة في ايطاليا فياواخر الحرب العالمية الثانيةوقد استفاد بهذه الحماية منذ ذلك الوقت مئات الملايين من الاشخاص في جميع انحاء الدنيا .

● اهاب احد الاطباء النفسانيين الامريكيين باطباء العائلات ان يستفسروا من مرضاهم عن حياتهم الجنسية كوسيلة لابراء الرجال من عجزهم والنساء من فتورهن . فقد قال الدكتور ريتشارد جوارتني في خطاب القاه في اكاديمية كاليفورنيا الطبية ان كثيرين من الرجال يسترون عجزهم الجنسي وراء امراض وهمية كاضطراب المعدة والاسهال والصداعولا يتحدثون عن الناحية الجنسية الا اذا طلب اليهم ذلك . وان امثال هؤلاء الناس قد نشأوا في بيوت تحرم الحديث في المسائل الجنسية . وان اسوا ما يحدث لفتاة هو ان تنشا في احد هذه البيوت . فهيتجمع معلوماتها عن الناحية الجنسية من المدرسة والسينما والمجتمع ولكنها لا تجد المكان الذي تتلقى فيه النصائح المفيدة عن الناحية الجنسية .

ثم قال ان الطبيب يستطيع معالجة مريضه بنجاح اذا عرف المرض في مراحله الاولى واستطاع ان يقنع المريض بان مرضه وهمي اكثر منه حقيقي ، وبان العجز الجنسي قد يصيب الاصحاء والسعداء بين وقت واخر وانه ليس مرضا يخجل منه صاحبه .

● منح معهد كارولين الطبي جائزة نوبل للطب هذا العام للبروفسور هوغوتيوريل ، الاخصائي السويدي في الدم . ويبلغ الدكتور هوغو الثانية والخمسين من عمره ويعمل رئيسا لمعهد الكيمياء العضوية في استكهولم .

● اذاع الدكتور هف بيتي استاذ الجراحة في جامعة اوهيو ، ان فتى ولد منذ اثنتي عشرة سنة بفمين ، واصبح اليوم بفم واحد عادي ، بعد اجراء ثلاث عمليات جراحية . وقد اجريت اولى هذه العمليات الثلاث عندما كان الفتى طفلا في الشهر التاسع عشر من عمره ، ازال خلالها الدكتور بيتي لسان احد الفمين واللثة وبراعم الاسنان ، وبعد ستة اشهر اجرى للطفل عملية ثانية استاصل الغشاء المخاطي ، لمنع تدفق اللعاب الى الفم الملغى ، وعندما بلغ الطفل السنة الثالثة من عمره ، اجرى له العملية الثالثة التي دفع بها الشفتين الى الداخل ثم خاط الفم ، فالتام الجلد بحيث لم يبق من اثر للفم الزائد .

● توفق الخبراء الامريكيون بانتاج جهاز رخيص الثمن يمكنه عند اللزوم القيام بدور قلب الانسان ورئتيه من حيث تنقية الدم ودفعه في الاوعية الخاصة به .

ويقال ان هذا الجهاز الذي يفوق اي جهاز اخر في قدرته على تقليد الطبيعة وتموين الدم بالاوكسيجين الكافي لا يزيد ثمنه عن الاربعمائة دولار هذا بينما لا يقل ثمن الواحد من الاجهزة الاخرى المستعملة حاليا عن المائة الف دولار .

وينتظر ان يجرب هذا الجهاز رسميا في احدى العمليات الجراحية في القريب .

● اعلن الحائز على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية العالم الهندي الدكتور ران رئيس اكاديمية العلوم الهندية في بانغالور عن اكتشاف ظاهرة جديدة دعاها بظاهرة اشعة — صلة الوصل — ووصف الظاهرة بقوله عندما يجتاز خيط من هذه الاشعة جسمابلوريا فانه يثير اهتزازات اشعة ما فوق الحمراء او يثير اهتزازات حرارية ناتجة عن الطبقات الذرية في البلور وتنعكس هذه الاشعة في اتجاه محدود ولكن بذبذبات متغيرة .

● اعلن مدير المختبرالذريفي جامعةكاليفورنيا في بيركلي نبا اكتشاف اول ذرة كهربائية سلبية ، التي يعتقد بعض العلماء انه باستطاعتها ان تزيل المادة ، وقد اصدرت لجنة الطاقة الذرية الاميركية بعد اعلان هذا الاكتشاف بقليل بلاغا رسميا ، صرحت فيه بان اكتشافا جديدا قد تم ، هذا الاكتشاف الذي يعلن بدء عهد جديد من الابحاث الذرية وتصف اللجنة هذه الذرة الكهربائية السلبية على انها الشبح الذي كان يراود مخيلة الفيزيائيين منذ عدة اجيال .

ويدعى الجزء الجديد « ضد البروتون » (انتي بروتون) او البروتون السلبي وهو العدد المقابل في قلبذرةالهيدروجينالايجابية. وكان معروفا حتى الان ان المادة لا تباد بل تتحول من شكل الى اخر لكن بعض العلماء كانوا يعتقدون انه حين يلتقي البروتون والبروتون السلبي فانهما يبيدان احدهما الاخر الى رشاش من جزيئات تكاد تكون عديمة الوزن .

وعبثا فتش العلماء عن البروتون السلبي في اعالي الجو وفي الاشعة الكونية حتى وجده الدكتور لورنس اتيا من فضاءات خارجية ، وقد دلت الصور الدقيقة التي اخذت له انه يضرب الجزيئات النووية في الفضاء ويحولها الى رشاش من الالكترونات ، وهكذا تتحول المادة الى طاقة كهربائية تحولا تاما .

ومن المعروف ان الابحاث التي ادت الىهذا الاكتشاف جرت على يد جماعة من العلماء الذين يشتغلونفي مختبرات جامعة كاليفورنيا، هؤلاء الذين من بينهم عدد يحمل جائزة نوبل ، وكانوا يعملون باشرافالدكتور ارنستلورانس، وقد امكن الوصول الى الاكتشاف المذكور بواسطة استخدام البيفاترون .

● فجر الاتحاد السوفياتي قنبلة ذرية في المنطقة القطبية ونشرت صحيفة اربيدربلادت لسان حال الحكومة النرويجية في صدر صفحتها الاولى ان هناك دلائل قوية علىصحة هذا الخبر وان الانفجار حدث منذ وقت قريب في بحر بارنج في المنطقة القطبية فقد لوحظ ان الجو فوق الاراضي النرويجية مشبع بالاشعاع الذري .

وجدير بالذكر ان اللجنة الامريكية للطاقة الذرية اذاعت في ٥ اغسطس الماضي ان الاتحاد السوفياتي قام بتجارب لتفجير قنابل ذرية دون ان تحدد المكان الذي انفجرت فيه القنابل

● حصلت مصر على فرن ذري وسيقام خلال ستة اشهر على مساحة ٤٠ فدانا . ويعتبر هذا الفرن اول فرن ذري تحصل عليه دولة في منطقة الشرق الاوسط بعد الهند .

وتستطيع مصر بعد اقامة هذا الفرن الذري القضاء التام على دودة القطن ، وتستنبط القطن الملون وتحسن سلالات المحاصيل الحيوانية والزراعية . وفي ميدان الطب ستعالج مصر بالاشعاع الذري السرطان والتدرن والغدة الدرقية . وقد اكتشفت في رمال رشيد مواد اشعاعية تستخدم في القنبلة الهيدروجينية والانتاج الحربي ، واعتمد مجلس الوزراء مليون جنيه للانفاق على هذا المشروع العلمي الخطير .

● ذكرت جريدة « يوميوري » ان علماء الارض التابعين للحكومة اليابانية قد اعلنوا عن اكتشافهم منجما غنيا جدا بالاورانيوم .

● اعلن لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية بان المباحثات تدور الان بين المصانع الاميركية والحكومة البلجيكية لبناء جهاز تفاعل ذري لتوليد الكهرباء بالقرب من بروكسل عاصمة بلجيكا . ويجب الانتهاء من هذا المشروع في اوائل سنة ١٩٥٨ كي يستطيع تقديم القوى الكهربائية اللازمة للمعرض العالمي الذي سيقام في تلك السنة في العاصمة البلجيكية .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية بانها قد وافقت مبدئيا على طلب موجه من ولاية نبراسكا الواقعة في السهول الوسطى من الولايات المتحدة والتي تفتقر الى المصادر المائية لتوليد الكهرباء ، وذلك لبناء جهاز تفاعل ذري لتوليد الكهرباء في تلك الولاية .

● وصل الى واشنطن وفد من علماء ومهندسي ١٩ دولة منها مصر والباكستان لبحث الدراسات الذرية الاميركية وذلك بعد ان حضروا مدرسة العلم الذري التي انشئت حديثا بموجب برنامج الرئيس ايزنهاور لاستخدام الذرة في اغراض سلمية . فقد درس هؤلاء العلماء مدة سبعة اشهر في المدرسة الذرية الحديثة وتدربوا على تصميم وبناء وتشغيل اجهزة التفاعل الذرية . وبين العلماء الذين تابعوا هذه الدراسة باهتمام العالمان المصريان كمال الدين عفت وعثمان حسن المفتي ، والعالم الباكستاني ا.ر. دانا .

● يقول الدكتور ويلارد ليبي عضو لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان صخور الجرانيت العادية ــ وهي توجد بكثرة في معظم اقطار العالم ــ قد تصبح مصدرا من مصادر الطاقة الذرية في المستقبل لو نجحت التجارب الجارية الان . وقال : قد يثبت العلم ان اليورانيوم ٢٣٨ هو نفسه معدن قابل للانفلاق وبذا يكون مصدرا من مصادر الطاقة . فاذا ثبت ذلك فان للعالم ان يطمئن لوجود كميات لا تقدر من الوقود ، ذلك ان الجرانيت العادي يحتوي على اربعة اجزاء من المليون من اليورانيوم وسيرتفع ثمنه حتى يوازي ١٢ مرة ثمن وزنه من الفحم الحجري كمصدر للطاقة .

● ارسلت الحكومة الاردنية الى بعض مختبرات انكلترا والمانيا عينات من فوسفات الاردن لتحليلها بعد ان لوحظ انها تحتوي على طاقة اشعاعية . ويعتقد الخبراء في عمان بان الفوسفات يحتوي على عنصري الثوريوم واليورانيوم المشعين بنسبة تتراوح بين ١ و٢ و٥ ٪ .

● تدرس وزارة الصحة السورية بعد ان حصلت كل من تركيا ومصر ولبنان على فرن ذري امكانية الحصول على فرن مماثل وقد اهتم الدكتور بدري عبود وزير الصحة بهذا الامر وبحثه مع بعض الاخصائيين في وزارته وقيل ان الحصول على فرن ذري لسورية والحصول على كمية ست كيلوغرامات من الاورانيوم يمكن الاستفادة منها في تحسين الانتاج الزراعي ومعالجة كثير من الامراض الخبيثة وخاصة منها السرطان . ويقدر ثمن الفرن الذري بنحو ٢٠٠ الف ليرة سورية لا تدفع سورية من ثمنه اكثر من ١٥٠ الف ليرة لانه يقدم ضمن نطاق المساعدة الفنية للولايات المتحدة لاستخدام الطاقة في الاغراض السلمية . ومما يذكر ان الدوائر السورية المختصة مهتمة ايضا بانشاء جهاز من الخبراء في طبقات الارض للتفتيش عن الاورانيوم والمعادن المشعة الاخرى .

● لاول مرة في تاريخ الطيران يقذف فيها قائد طائرة نفسه ويهبط من علو ٤٠ الف قدم فيصل الى الارض دون اي اذى . وهذا ما فعله قائد السرب ج. فايفيلد من مطار اوكسفورد شاير البريطاني وذلك بواسطة مقعد اوتوماتيكي معد بجهاز يدعى «باروستات» لمنع المظلة من ان تفتح الى ان يكون القائد



الطيار قد هبط الى علو عشرة الاف قدم فقط من الارض . ومن مهمات جهاز الباروستات هذا ان يمكن الطيار من البقاء على مقعده وهو هابط عبر طبقة من البرد والهواء النادر وبصورة سريعة الى ان يصل الى علو يلائمه ويوافقه للانفصال اذ ذاك عن مقعده ومغادرته . وفي المرحلة الاولى من هبوطه يقيه مقعده وتركيبه وفي هذا الاثناء يرد اليه الاوكسجين بصورة اوتوماتيكية اذ يفتح الجهاز الخاص بهذا الغاز ويصل الى كمامته التي احكم وضعها ابان قذف الطيار وعلى وجهه بواسطة غطاء خاص واق .

● اعلنت ادارة الطيران المدني في وشنطن ان الولايات المتحدة ستساعد على انشاء ٢١ جهازا لاسلكيا من ذوات « الذبذبة العالية » في مطارات الشرق الاوسط واوربا واسيا وسيحصل لبنان على جهاز واحد من هذه الاجهزة . وتذهب الاجهزة الاخرى الى الهند والباكستان واليونان وتركيا .

● تقول صحيفة لوس انجلوس تايس انشركة نورث اميركان للطيران قد شرعت ببناء طائرة صاروخية قادرة على الارتفاع بالطيار الى علو ١٠٠ ميل بالفضاء . وتقول الصحيفة ان اول طائرة من هذا النوع سينجز بناؤها خلال مدة سنتين .

● توصل الاستاذ بوكروفسكي ، احد علماء الروس المبرزين في ميدان الدراسات العلمية ، الى تصميم طائرة جديدة تفوق كل طائرة اخرى استطاع صنعها العلم حتى اليوم وفي وسع هذه الطائرة الذرية ـ النفاثة ان تدور حول الارض دون توقف وذلك بفضل الاجهزة الميكانيكية التي تضمن لها استمرار الطيران .

● اعلنت المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر في مكة ان وزارة المواصلات تشرف على اعداد وتركيب المحطة اللاسلكية الكبيرة التي تقوم بها شركة سيمنس لتكون قريبا معدة للاستعمال ، وهكذا تنفرد المملكة السعودية بمحطة حديثة تعد الاولى من نوعها في الشرق الاوسط وهي تماثل المحطة الموجودة في مدينة هامبورج الالمانية ويشترك في تركيب هذه المحطة مع المهندسين الالمان بعض المهندسين السعوديين الفنيين الذين تلقوا علومهم في انكلترا ليتسنى لهم ادارة ، وصيانة المحطة .

● توصل مختبر لوزارة الزراعة الاميركية الى اكتشاف مادة كيماوية اذا عولجت بها المنسوجات القطنية اصبحت غير قابلة للاحتراق ومن مميزات هذه المادة الجديدة انها لا تزول بالغسيل او الكي .

● توصل ثلاثة مهندسين من شركة « بل » الاميركية ، لاول مرة في التاريخ ، ان يضعوا خطا تليفونيا يعمل على « بطارية شمسية » وذلك في قرية مريكوس على بعد مئتي كيلو متر جنوبي اتلانتا . وتتالف البطارية الشمسية المذكورة من ٤٣٢ جزءا من السيليسيوم . فان هذه المادة تولد تيارا كهربائيا تحت تأثير اشعة الشمس ، ثم تلتقط اسلاكا خاصة هذا التيار الكهربائي ، وترسلها الى خزان البطارية . وقد كانت التجربة على جانب كبير من النجاح بحيث يفكر الان خبراء شركة «بل» ان يمدوها في القرى الريفية المنعزلة التي لا تصلها الكهرباء .

● جاء في العدد الاخير من مجلة ايروديجست مغازين ان الاتحاد السوفياتي قد انهى صنع سفينة الفضاء كما انه انتهى من صنع القذائف الثلاث الاولى الرامية الى دفعها ، ويبلغ وزن هذه السفينة التي يمكن ان تستخدم كجرم اصطناعي حوالي المائة طن كما يستطيع ان يعمل في دائرة قطرها ٣٠٠٠ كلم وتبلغ نفقات ادارته حوالي ٢٠ مليون دولار .

● يبدأ قريبا العمل في انشاء مصنع لانتاج الورق في ولاية اوكساكا على بعد ٤٠٠ ميل جنوب شرقي مدينة مكسيكو وتبلغ نفقات انشاء هذا المصنع ١٢ مليون دولار ، ويقدر انتاجه بحوالي ٣٣ الف طن من ورق الصحف أي حوالي نصف حاجة جمهورية المكسيك من هذا الصنف . وتتولى عملية انشاء المصنع وتزويده بالالات شركتان اميركيتان .

● صرح السيد سعيد علاء الدين وزير الاقتصاد الاردني بانه تلقى وعدا من المسؤولين المصريين بابلاغ الاردن قريبا قرار مصر النهائي حول المساهمة في تمويل مشروع البوتاس الاردني . وقد وافقت المملكة السعودية ولبنان والعراق حتى الان على المساهمة في المشروع الذي تقدر تكاليفه باكثر من اربعة ملايين دينار ، وستساهم الحكومة الاردنية في المشروع بمبلغ ٧٥٠ الف دينار ولم تبت سورية في موقفها منه حتى الان .

● اعلنت نظارة الدفاع الاميركية انه قد شرع بصنع الجهاز الذي سيصل الكوكب الارضي الى الفضاء الخارجي وذلك كجزء من مساهمة الولايات المتحدة في اعمال السنة الجغرافية . وقالت نظارة الدفاع ان شركة جنرال الكتريك ستصنع محرك الصاروخ الذي سيستخدم لدفع الكوكب الارضي الى الفضاء الخارجي .

● لاطالة عمر سقوف وجدران البيوت المصنوعة من الاسمنت او الكلس والرمل وحماية السطوح المصنوعة من الفخار او البلاط ظهر دهان جديد من البلاستيك يقال انه يترك على السطوح طبقة دائمة اشبه « بالبرسلين »تقاوم التجرح والتفتت . ويقال ان هذا المعجون الجزيل الفائدة شديد الصلابة وانه يبقى في حالة جيدة مدة تزيد عن عمر الدهان العادي باربعة اضعاف .

● تدرس الحكومة السورية موضوع استثمار الغاز الذي ظهر في الابار التي قامت بحفرها شركة بترول العراق وقد فهم من هذه الدراسة ان الغاز الموجود في هذه الابار يكفي سورية لمدة ثمانين سنة ، وقد عهد الى شركةموريسون الفرنسية بتنظيم الاستثمار لعقد اتفاق معها .

● صرح المستر تاغورسكي خبير الموانيء في سلطة ميناء العقبة ان الاتفاق قد تم مع شركة راندال وبالمر الهندسية في بريطانيا للاشراف على بناء ميناء كبيرة في العقبة لمصلحةالحكومة الاردنية ، تبلغ تكاليفها في حدود مليون ونصف مليون دينار .

● صرح السيد عبد الباقي نظام الدين وزير الاشغال العامة والمواصلات السورية بان التحاليل والاختبارات التي قام بها الخبراء الفنيون للتاكد من وجود الفحم الحجري في بعض المناطق السورية قد دلت على وجوده بطول ٤٥٠ مترا وبعرض خمسين مترا . كما دلت هذه التحاليل على وجود الحديد بنسبة ٤٠ ـ ٥٠ بالمئة .

● اذاع راديو موسكو ان المحطة القطبية الشمالية السوفياتية الرابعة قد انحرفت زهاء ١٠٠ كلم حتى وصلت الان الى أبعد نقطة من الاتحاد السوفياتي وصلت اليها محطة قطبية

سوفياتية . وان هذه المحطة القطبية التي تجاوزت خط العرض ٨٥ قد وصلت الى الليل القطبي الامر الذي جعل الاتصال معها بالطائرات صعبا للغاية ولا يستطيع رجال البعثة القيام ببعض الابحاث الا حوالي الظهر.

وذكر الراديو ان بعض المراقبين اصطدموا بدب ابيض كبير الحجم في منطقة كان الرأي السائد فيها انها غير مسكونة من قبل هذا الحيوان .

● سبر علماء سلاح الجو الاميركي حقلاجديدا في ابحاث طبقات الجو العليا . فقد اطلقوا صاروخا الى ارتفاع سبعين ميلا تقريبا فوق الارض قائمين بالتجربة التي سميت تجربة نور القمر المزيف . وانتشر خط هائل من البخار البرتقالي اللون على شكل هلال ، عند اطلاق الصاروخ . وقد شوهد من على بعد عدة اميال اكثر من عشرين دقيقة .

وقد لا تعرف نتائج التجربة قبل عدة اسابيع . وكان سلاح الجو قد اطلق الصاروخ ليتاكد من وجود كميات من الصوديوم الطبيعي في طبقات الجو العليا وتحديد مصدرها وكثافتها وميزاتها .

● يشيد حاليا في سدني باستراليا اضخم راديو تلسكوب يعرفه العالم حتى الان . وهو على هيئة صليب كبير يبلغ طول اذرعته ميلا على التقريب . وقد اوصت منظمة البحوث العلمية والصناعية للكومونولث الاستراليبصنع هذا الجهاز الخارق لعله يساعد في كشف الاسرار الغامضة التي تحيط بالكوكبين القريبين من الارض ، فينوس والمريخ . ويأمل علماء الفلك التقاط موجات لاسلكية من هذين الكوكبين ، بعد انا استطاعوا منذ اعوام التقاط موجات صادرة عن سطح القمر استدلوا منها على درجة حرارته ونوع سطحه . اما سطح فينوس فهو دائما مختف تحت غلاف من السحاب والتراب ، ويظنون ان سطحه اذا كان حارا فلا بد من ان يصدر اشعاعات تساعد في معرفة طبيعته . وتتوفر نفس الامكانيات بالنسبة للمريخ ، وهو كوكب مرئي دائما ويحيط به غلاف جوي رقيق .

● اذاع راديو موسكو ان عالما من علماء الهندسة في روسيا تكهن بان الهندسة الذرية في المستقبل ستغير التاريخ الجيولوجي لكوكبنا . وقال العالم ان المهندسين ذوي الخيال الواسع يفكرون الان في وضع مشروعات تهدف الى تغيير تيارات الماء والهواء على الارض .

ومن بين هذه المشروعات اقفال الطريق بين المحيطين الباسيفيكي والمتجمد الشمالي بواسطة خزان ضخم عبر ممر بيرنج ، على ان تقام عليه بطارية تحرك مئات المضخات التي تنقل قدرا هائلا من مياه الباسيفيكي وتصبها في المحيط المتجمد الشمالي . وسينتج من هذا المشروع تيار صناعي دافيء يكاد يعادل تيار الخليج ومن ثم يتلطف الجو في المنطقة القطبية واسيا الشمالية الشرقية .

● عثرت مديرية الاثار القديمة العامة في منطقة « داقوق » شمال العراق على كنز يرجع الى القرن التاسع الهجري ، ويبلغ ٦٨٠ قطعة من النقود الفضية مخزونة في وعاء نحاسي .

وتقول مديرية الاثار ان الدراسة الاولية تدل على ان هذه النقود ضربت في اماكن مختلفة من الامبراطورية الاسلامية ، ويرجع اكثرها الى السلالة التيمورية . ومن ملوك هذه السلالة التي ضربت النقود في عهدها السلطان رخ بهاور سنة ٨٠٧ — ٨٥٠ هجرية والسلطان مغيث الدين سنة ٨٥٠ — ٥٣ هجرية . وعلم كذلك انه عثر على كميات من النقود والحلى الذهبية يرجع عهدها الى ما بين القرنالسادس والقرن الحادي عشر الهجري .

● اعلنت المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر في مكة ان وزارة الزراعة قداستوردت كميات كبيرة من بذور الخضراوات الاميركية من مشاتل فيلادلفيا في اميركا وقامت بتوزيعها على جميع فروعها في انحاء المملكة لتقوم بتقديمها لكافة المزارعين ، وقد اجري اختبار هذه البذور من قبل الفنيين السعوديين الذين اثبتت تجاربهم صلاحها من حيث وفرة المحصول واحتماله للمناخ الصحراوي .

وتعمل وزارة الزراعة السعودية على استيراد غروس الفاكهة من مصر ولبنانكعادتها سنويا لتوزيعها على مختلف المناطقبالمملكة ، وقد ازداد في هذا العام طلب المزارعين لهذه الاشجار زيادة كبيرة عن العام الماضي نتيجة لازدياد الوعي الزراعي عند الفلاحين وتمشيا مع التعليمات التي يتلقاها المزارعون من الخبراء الزراعيين السعوديين .

● اصدرت منظمة الامم المتحدة للزراعة والتغذية تقريرا عن عام ١٩٥٥ بعنوان (حالة التغذية والزراعة) ، خصصته لتقدم الزراعة العالمية خلال العشرة اعوام الاخيرة . وتعلن المنظمة في هذا التقرير ان الانتاج العالمي (فيما عدا كتلة الدول الشيوعية) قد تجاوز في عام ١٩٥٤ انتاج عام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ بنسبة٣٥٪ .

وينتج العالم — باستثناء الكتلة الشيوعية التي لم يصل منها بعد احصاءات كاملة — محصولات من الارز والقطن واللبن تزيد بنسبة ٣٠ ٪ ، ومحصولا من اللحوم والدهنيات والقمح يزيد بنسبة ٣٠٪ ، ومحصولا من الفواكه والسكر يزيد بنسبة ٥٠ ٪ ، ومحصولا من المطاط — عدا المطاط الصناعي — يزيد بنسبة ٨٠ ٪ . وترجع المنظمة الدولية هذه الزيادة الضخمة في الانتاج الى اسباب رئيسية أهمها : ١ — سياسة عامة للاحتفاظ بالاسعار الزراعية حفزت الهيئات الزراعية الى تنمية الزراعات الغذائية ، ٢ — عدة دول متخلفة عملت على استغلال مواردها خلال العشرة اعوام الاخيرة ، فضلا عن تشجيعها لحركات التصنيع فيها ، مما ادى الى زيادة المواد الغذائية وتنوعها ، ٣ — خبرات زراعية فنية نالتها الدول المتخلفة من الدول المتقدمة.

على ان تقرير المنظمة يشير ايضا الى بعض بلاد الشرق الاقصى واميركا اللاتينية حيث يقل مستوى الاستهلاك الغذائي للفرد عن مستواه « المنخفض » في فترة ما قبل الحرب . ويقول التقرير ان السكان في مناطق ضخمة في العالم ما تزال عاجزة عن توفير ما تحتاج اليه

والمشاكل الزراعية الرئيسية هي دائما — كما يقول تقرير منظمة الزراعة والتغذية — ما يلي :

١ — ان الاستهلاك لا يوازي الانتاج مما يجعل بعض البلاد تختزن محاصيل تزيد عن اللازم .

٢ — عدم مرونة الانتاج بحيث يتمشى دائما مع تغيرات الطلب ، ٣ — فترة ركود التجارة العالمية للمنتجات الزراعية ، ٤ — انخفاض مستوى الاسعار الزراعية بالنسبة الى اسعار المنتجات في ميادين اقتصادية اخرى .

التي يضعها المؤلف في افواه اشخاصه المتباينين تدل على عمق وتوغل في التامل في الحياة الانسانية ، ولا يهمنا اذ نتمتع بها اترتبط كلها ام لا ترتبط ارتباطا ظاهرا بالقصة نفسها ، ولكننا ندرك حين نفرغ من القصة ان هذه الافكار والاراء انما هي جزء من الجو المشحون الذي تتحرك فيه اشخاص الرواية .

واحب ان انوه بالبراعة المدهشة التي يصور بها جبرا اجترار امين لماضيه ــ ماضيه باجمعه من طفولته الى يوم تركته سمية . فكل حادثة يراها وكل عبارة يسمعها في ليلتنا معه (فالقصة تبدأ في المساء وتنتهي في الصباح) يجد لها في ذاكرته صدى لحادثة او موقف عرفه في ماضيه . ان امينا بلا وعي منه ، يتذكر ويقارن كل ما يراه بما حصل له في الماضي ــ وهكذا فانه خلال الحوادث التي تقع له في ليلة واحدة يحدثنا بكل ماضيه . وبهذا يحافظ الكاتب على وحدة زمنية قصيرة مهمة يرينا في تلافيفها آثار سنوات طويلة .

واما الاسلوب القصصي الذي اتبع الكاتب به طريقة الترجمة الذاتية ، او صيغة المتكلم فهو اسلوب متدفق متناسق شديد الحيوية يجتذبنا الى تتبع القراءة بنهم ولذة . انه يماطلنا في سرد الحوادث مشوقا ــ كما وان اسلوبه يتسم بالجمال والوصف الدقيق لخلجات النفس من حب وحقد وانفتاح وانغلاق وسخرية وسذاجة .

ولا بد من التنويه بان خاتمة القصة دراماتيكية عنيفة ، لا يتوقعها القارىء ولكن الكاتب يسردها برشاقة مقنعة فيصبح الحادث العنيف شيئا رمزيا هو اكثر من مجرد حادث في حياة شخص او شخصين .

ان قصة « صراخ في ليل طويل » من الادب القصصي الرفيع .

بغداد **سلمى الخضراء الجيوسي**

ــ ٢ ــ

صراخ في ليل طويل

قبل كل شيء يجب التنويه بان هذه الدراسة المتواضعة لقصة « صراخ في ليل طويل » قد بنيت على الطريقة « الموضوعية » في النقد . فهي تتناول الاثر الفني اولا ، ثم الكاتب من خلال اثره . وباتباع هذه الطريقة يستطيع الناقد ان يتجنب الاخطاء التي قد توقعه فيها انطباعاته السابقة عن المؤلف اوصلته الشخصية به ، وتصبح الاحكام التي يصدرها اقرب الى النزاهة والصحة . ولذا آثرت هذه الطريقة في النقد . وانشأت هذه الدراسة على اربع نواح :

اولا ــ طريقة بناء القصة

ثانيا ــ مبلغ التوافق بين شكل القصة ومضمونها

ثالثا ــ مبلغ توفر الصدق الفني فيها

رابعا ــ نظرة المؤلف الى الفن والحياة من خلال هذه القصة وحدها .

لقد تفضل المؤلف وشرح لنا طريقة بناء القصة على لسان بطله « امين » (ص ١٠ ــ ١١) اذ كان هو الاخر يكتب رواية عن نفس موضوع هذه القصة ، أي عن حبه لسمية وزواجه منها ، ثم هروبها بلا سبب واضح . ومن هنا يبدو ان شخصية المؤلف تمتزج بشخصية بطله الى حد كبير ، وانه على لسان امين يعبر عن طريقته ذاتها في بناء قصة ــ « صراخ في ليل طويل » . يقول امين « اما الرواية فكنت ابغي منها ما اروح به عن ضيق صدري . كما انني جعلت منها ذريعة للتعبير عما اريد قوله ، ان قسمت نفسي الى اشخاص كثيرين ، يمثل كل منهم جزءا من هذه النفس الملأى بالمتناقضات . وقد بنيتها على حبي لسمية ، ابنة صاحب المتجر ، ذلك الحب الذي لم يأت بثمرة صالحة . ولكن المرء لا يحكم على الاشياء دائما حسب ثمارها . او على الاقل لم افعل انا ذلك . لعلني لم اكن حكيما فيما ذهبت اليه : فقد كنت اصر على اهمية اختبار الحياة نفسها ، غير آبه للنتائج . كانت تلك نظرية شكلتها من اجل راحتي الذهنية . فبعد ان عانيت ما عانيت زمنا ، حاولت ان احدد موقفا من الحياة يتعادل في الربح والخسارة ، الامتلاك والاملاق ، ويكون لكل منها في حياة الفرد فرض مماثل وقيمة متساوية . ولكن كان علي ان اجد النقطة التي تتوازن فيها الاضداد ، والشكل الذي تترتب فيه الالوان ، قاتمها وزاهيها ، بانسجام . فقلت افعل ذلك عن طريق الكتابة ، فاوزع اجزاء التجارب ضمن اطار الرواية بحيث تتخذ في النهاية شكلا يقع فيه كل شيء في مكانه ، فتبرز الاجزاء جمال الكل . »

وتنفيذا لهذا ، فقد وزع المؤلف « اجزاء تجاربه » الى قسمين رئيسيين ، قسم يحدث في حاضر البطل ، وقسم قد حدث في ماضيه . وجعل من الماضي والحاضر تيارين متوازيين ، قلما يتلامسان ، وقلما يحدث شيء من التفاعل بينهما . ربما اراد ان يجعل لكل منهما في نظر القاريء « غرضا مماثلا وقيمة متساوية » شأنه مع امور الحياة الاخرى .

ولكن « الربح والخسارة » لم يتعادلا قط في هذه القصة . كان الربح جميعه في جانب (الحاضر) الحي المعاش لحظة بعد لحظة ــ مع انه مجرد اطار للقصة . وكانت الخسارة جميعها في جانب (الماضي) المعاش كاشتات من الذكريات تأتي في اعقاب الحاضر . ذلك ان الذكرى لن يكون لها قط قوة الحاضر وفعاليته وسيطرته على القاريء ، ولذا اختل منذ البداية توازن القصة المستندة في جوهرها الى امور وقعت في [الماضي] .

ولم « تتخذ في النهاية شكلا يقع فيه كل شيء في مكانه . » اغلب الظن ان المؤلف قد اختار هذا التكنيك ليتخلص من تكنيك قديم اصبح غير مساغ في العصر الحاضر — عصر الواقعية الحديثة في الادب .

فالتكنيك القديم يقتضي ان يسرد المؤلف ذكرياته جملة واحدة وبصورة متصلة . ورغم معايب هذا التكنيك ، الا انه بيد قديرة ، قد يبلغ من قوة الايهام مبلغا يجعل للذكرى احيانا فعالية الحاضر المعاش . كما فعل ستيفن زفايغ مثلا في قصة « رسالة من امراة مجهولة » ، وعن هذا الطريق تنعقد الفة بين القارىء والبطل . وهذه الالفة هي من اهم ما يصبو الى تحقيقه كتاب القصة .

الا ان مؤلف « صراخ في ليل طويل » اختار تكنيكا اخر عليه صبغة الجدة ، يسير فيه الماضي وراء الحاضر كتيارين متوازيين مستقلين عن بعضهما . دون أي تفاعل حيوي بينهما . وبديهي ، انني لا اعني بالتفاعل : كلمة يقولها احد الذين يلقاهم البطل في حاضره ، فتعود الى ماضيه . او لافتة على الطريق يراها البطل فتعود اليه بعض الذكريات . ان هذا لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يعتبر تفاعلا حيويا له قوة التأثير والتغيير . ان فقدان التفاعل وابقاء كل شيء في مكانه — الحاضر هنا ، والماضي هناك ، قد اباح للمؤلف حرية غريبة . اذ جعل بطله في غنى عن ان يجيب على سؤال مهم كهذا . وهو « لماذا لم يبحث عن سمية الهاربة التي احبها كل ذلك الحب حتى نهاية الرواية ؟ » الا يبدو غريبا ان يعتزل البطل في كهف على جبل . او ان يبدأ بكتابة رواية عن حبه ، دون ان يبحث عن زوجته الهاربة ؟

ان البطل لو فعل ذلك ، اذن لتفاعل ماضيه بحاضره ، ولتدفقت في عروقه الحياة . ولكن المؤلف كانت له خطة اخرى . لقد اراد هذا الحب صورة مجمدة للماضي . كما اراد ان يصنع من الحاضر اطارا لها ، وبذلك افترض ان تتخذ الرواية « شكلا يقع فيه كل شيء في مكانه ، فتبرز الاجزاء جمال الكل . » الا ان هذا الانسجام الكلاسيكي الذي يهدف اليه المؤلف — استطيع ان اقول — انه لم يتحقق قط في هذه القصة .

كلنا يعلم ان القارىء لا يتخيل اثناء القراءة . اذ لا بد للتخيل من تأمل ، والقارىء لا يمكن ان يتأمل وهو مشغول بالقراءة . انه « يتوقع » ، مترقبا ما سيصنع البطل ، ماذا سيجري للبطل من احداث ، كيف سيقاوم البطل الظروف المحيطة به — من صحيفة الى صحيفة . وهذا التوقع ينصب عادة على اعمال البطل وتصرفاته وافكاره ، اي انه ينصب على [حاضر] البطل . ولقد اكتشف القصصيون هذه الحقيقة منذ زمن طويل ، ولذا نرى غالبية كتاب القصة المعاصرين يجعلون ابطالهم : (يعيشون تجربة الحاضر امام عين القارىء) . وحتى اذا لجأوا الى الماضي ، حاولوا ان يجعلوا له بتكنيكهم الخاص قوة الحاضر المعاش . كما يفعل « فولكنر » الكاتب الامريكي المعروف . وهو في رواياته دائم اللجوء الى الماضي .

بقي ان نعلم بان المؤلف اثناء انشغاله بتوزيع التجارب ، لم يغفل عن عملية « التوزيع » في الشخصيات . فلقد اعطى البطل شاعريته الرومانتيكية ، مع شيء من الميوعة العاطفية ، ومنحه سلبية تجاه الحياة . كما جعل من فارس الطبيب رساما ، مثله . وكما بين ان عمر السامري — شاب عجيب ! ما وجه العجب فيه ؟ « نبغ في الدراسة ، فتخرج من الجامعة قبل ان يبلغ العشرين . وجال في البلاد العربية وجزء من اوروبا لمدة سنتين ، ثم عاد الى المدينة رمزا (جميلا !) للتهكم والسأم . » (ص ٣٢) . وهذه الصفات مستمدة ايضا من شخص المؤلف . فاذا علمنا ان شخصيات القصة كلها ، حتى رشيد بطرس الذي ينزعج منه البطل ، وحتى ركزان العانس الطائشة ، تتكلم جميعا نفس اللغة المريرة الملأى بالتهكم ، وهي لغة مثقفي الطبقة الوسطى ، المترفعين عن الحياة ، لادركنا مدى نجاح المؤلف عند توزيعه شخصية واحدة في عدة شخصيات ، جعل منها نسخا باهتة للشخصية الرئيسية ، بحيث لا يكاد القارىء يتذكر اسماءها او علائمها المميزة بعد الانتهاء من قراءة القصة .

هذا يذكر الى حد ما بالادب الكلاسيكي حيث يجسد كل من ابطال القصة او المسرحية صفة واحدة ، فنرى شخصا يمثل الفضيلة واخر يمثل الرذيلة واخر يمثل الحق واخر الخيانة واخر الجمال ... الخ ... لقد اثبت علم

النفس سذاجة هذه النظرةمنذ نصف قرن تقريبا . وان المؤلف وان لم يفعل كما فعل الكلاسيكيون بالضبط ، الا ان مجرد تفكيره في ان يوزع صفات شخصية ما في عدة شخصيات ، يدل على انه ما يزال حتى في قرننا العشرين هذا ، واقعا تحت تاثير الفكر الكلاسيكي القديم الذي كان يعبر عن مستلزمات عصر مضى اوانه . ويدل ايضا على ان المؤلف لا يستطيع ان يستمد شخصيات قصصه من محيطه الخارجي . اي انه منكمش على نفسه ـ يوزعها كيفما شاء ـ بعيد عن الحياة ، سلبي تجاهها .

هذا فيما يخص طريقة بناء القصة .

ننتقل الان الى الناحية الثانية ، لنرى هل ان شكل القصة يلائم مضمونها ؟

ان المضمون الرئيسي للقصة ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يشتمل على حب امين وزواجه من سمية ، ثم هروبها . وهذه القصة تقع جميعها في الماضي . اما الحاضر فهو اطار لها فقط . ومن المعلوم في الفن القصصي ، ان الرواية انما تعنى بالمقاطع الطولية لحيوات اشخاصها ـ اذا صح هذا التعبير ، بينما الاقاصيص تعنى بالمقاطع العرضية فقط . فالرواية تقتضي ان يتطور البطل وتنمو شخصيته في وجهة ما ، حتى ليصبح في اخر الرواية غيره في اولها . بينما الاقصوصة تعنى بفترة صغيرة جدا من حياة البطل ، ولذا يكون البطل ـ مهما مر به من احداث ـ في اول الاقصوصة مثله في اخرها ، هو هو لم يتغير جوهريا . الاقصوصة تنصب على حالة ، بينما الرواية تنصب على حياة كاملة ، او على شطر كبير من حياة كاملة .

فلنر على ضوء هذا الفارق الرئيسي ، ايصلح شكل الرواية لمضمون « صراخ في ليل طويل ؟ » ان بطل هذه القصة (امين) ، يروي خلال ذكريات الماضي : خبر هبوطه من الجبل الى المدينة . ثم التقاءه بصاحب مقهى ، يعلمه بانه مطلوب في بيت عنايت هانم ، وهي سيدة ثرية متقدمة في السن ، يشتغل لديها في تدوين تاريخ اسرتها . وفي الطريق الذي يخترق المدينة الى بيت عناية هانم ، يلتقي احيانا بافراد لا يعرفهم ، ثم يلتقي برفاقه في « مقهى الحديقة » . وفي الختام يذهب الى بيت عنايت هانم ، فتخبره اختها ركزان بانها قد توفيت منذ بضعة ايام ـ عندما كان هو في عزلته على الجبل ، ثم تعرض عليه الزواج منها (يلاحظ بهذه المناسبة ان البطل محبوب من جميع نساء القصة !) . وبعد ان يعود الى بيته وينام ـ يفاجأ بجسد سمية الهاربة منه منذ سنتين ، مندسا الى جانبه في الفراش ، فيرفضها ، بينما تحرق ركزان بيت اسرتها وتاريخ هذه الاسرة العريقة ، لتبدأ حياة جديدة ، ويبدو كأن البطل ايضا سيفتح صفحة جديدة من حياته .

الواقع ان البطل كان من بداية القصة حتى نهايتها شخصا ضائعا ، بلا مستقبل . كان رهين ماضيه على الدوام ، وحتى رفضه لسمية عند عودتها لم يخرجه من ماضيه . لقد رفضها لانها تغيرت ، ولم تعد تلك الفتاة التي احبها طوال سنتين والتي ما يزال يحبها : سمية خياله . لقد صدم عندما وجدها تختلف عما ارادها ان تكون . اما هو ، فلم يتغير قط . بقيت شخصيته هي هي من اول القصة حتى نهايتها ، ولم يحاول في لحظة واحدة ان يصنع له مستقبلا . بينما نرى ابطال الروايات الحديثة يصنعون مستقبلهم في كل حركة ياتونها . بل لا يمكن ان توجد رواية بالمعنى الحديث من دون هذا المستقبل المصنوع يوميا . اما امين ، فهو شخص عائش لماضيه ، شخص بلا مستقبل ، لم ينم ولم يتطور خلال القصة ، بل ظل يدور في حلقة ذكرياته . ولذا كان اجدر بقصة حبه ان تتخذ شكل اقصوصة ، لا شكل رواية قصيرة كما اراد المؤلف . مما اضطره الى تضخيم الاطار ، وحشو القصة بالحكايات والتأملات والمناقشات وذكريات الطفولة ، بلا جدوى . ان شكل « صراخ في ليل طويل » لا يلائم مضمونها .

ننتقل الان الى الناحية الثالثة ، لنرى مبلغ الصدق الفني في هذه القصة . نحن لا يهمنا ان تكون التجربة التي يضمها الكتاب قد عاشها المؤلف في الواقع ام لم يعشها . انما المهم ان يقنعنا المؤلف بانها تجربة معاشة ، اي انها تجربة واقعية حقا . لانه على اساس من هذا الاقناع وحده ، يمكن ان تنعقد « الالفة » بين البطل والقاريء ، فيضع القاريء نفسه مكان البطل ، ويصبح ـ اثناء القراءة ـ كله ترقبا وتوقعا .

اراد المؤلف ان يصف اللقاء بين امين وسمية ، والذي ربط حياتهما بعد ذلك برباط الزوجية . فاقام لذلك حرشا ، وجعل كل منهما يذهب الى النزهة على دراجة ، ثم استمطر السماء ، فالتقيا صدفة تحت الاشجار ، وخوف العاصفة قادها البطل الى بيته ، وهيأ لها حماما ساخنا ، فاستحمت وارتدت ملابسه . كل ذلك في اول لقاء بين فتى وفتاة يعيشان في بلد عربي ، وبدون اي اعتراض من الفتاة ، وبدون الخوف ، والخجل الطبيعي الذي يمكن ان يخالج اية فتاة شرقية ، عذراء في موقف مثل هذا ! ترى ، اكانت هذه الفتاة مومسا ؟ ام كان المؤلف ينقل لنا مشهدا سينمائيا من الافلام الامريكية ؟ ان مثل هذه الواقعة ، بالاضافة الى رومانتيكيتها لا يمكن ان تصدق مطلقا في شرقنا العربي ، الذي ما زال يقوم فيه جدار صلب بين الجنسين ، شيد من العرف الاجتماعي والتقاليد . ان هذه التقاليد ما تزال قوية المفعول حتى في البلدان العربية المتقدمة على غيرها اجتماعيا كالقاهرة وبيروت . فكيف يريدنا المؤلف ان نصدق ؟

ان القصة باجمعها ، باعتبارها قصة حب امين لسمية ، مبنية على هذه « الصدفة » المصطنعة . كيف اذن

يستطيع القاريء ، وقد اذهلته هذه البداية ان يعقد الالفة مع بطل القصة ، ويعيش معه احداثهـــا ؟ بالنسبة لي ـ انقطعت الصلة منذ الصحائف الاولى ، وصرت اقرا الكتاب مع المؤلف لا مع البطل ، وارقب باستمرار عملية التناوب بين الماضي والحاضر . واعلق في سري على الصحائف المكتوبة بنفس شعري رومانتيكي ، وعلى الاجواء التي اصطنع فيها الغموض الرمزي ، في غير محله .

اليك هذه السطور التي تستهل بها القصة : « رفعت الفتاة قدمها وقالت : انظر ! فنظرت ، ولكني لم ار فيها ما يثير سوى اصبعها الكبير مصبوغا اظفره بالاحمر ، وباديء من طرف حذائها الانيق ، فقلت لنفسي : فلانصرفن الى ما هو اخلق بالرجل ، واتجهت نحو المدينة ! » كان البطل هنا صاحب رسالة ، كانه زرادشت وقد هبط من الجبل واتجه نحو المدينة ، حاملا اليها رسالته . ولكن لا شيء من ذلك بتاتا وان وجود هذه الفتاة وعدم وجودها سواء في مجرى القصة .

« وفي الطريق قابلني شرطي يحمل بندقية ، واوقفني ليرى بطاقة هويتي ... »

هنا يبدو كان المدينة كانت في حالة الطواريء او في حالة حرب . ولكن لا شيء من ذلك ايضا انها مجرد اجواء مصطنعة لاحداث غموض في غير محله ، وهي منتشرة في القصة هنا وهناك . لا ادري ! ربما كان المؤلف يعتبرها من عوامل « التشويق » ! ثم انظر الى الزهرة الصفراء التي جعلها المؤلف رمز الشمس والحياة ، ثم رمز سمية . وانظر اخيرا كيف انعدم هذا الرمز الرومانتيكي الصرف عند عودتها « كان وجهها بادي التحول . وشعرها يتساقط عليه في غير ترتيب ... » (ص ٩٨) .

« كنت اتحرق الى عناق امراة هي اشهى نساء الارض ، ولكن انظري الى نفسك : صفراء كالموت ، ذابلة كالموت ، ولست اريد الموت بعد اليوم . » (ص ١٠١) . وهكذا تحول الاصفرار الذي كان رمز الحياة الى رمز للموت !

كنت انظر الى كل هذه الالاعيب ، كمشاهد يتفرج على حركات بهلوانية . والواقع انني لم اكن مع البطل امين قط . كنت دائما مع المؤلف . ولا اظن ان التقصير كان من جانبي . انما البطل امين بالنظر للاجواء المصطنعة التي احاطه بها المؤلف ، وبالنظر لافتقار تجربته الى الصدق الفني ، وانعدام التفاعل الحيوي بين ماضيه وحاضره ، لم يستطع ان يفرض علي وجوده اثناء القصة .

***

ان نظرة المؤلف الى الفن قد اتينا عليها عند الحديث عن طريقته في بناء هذه القصة . اما نظرته الى العالم والحياة فيمكن ان تستنتج من المناقشات التي دارت بين امين ورفاقه في « حديقة المقهى » (ص ٣٢ ـ ٤٤) . على الا يغيب عن البال بان تلك الشخصيات جميعها عبارة عن جوانب من شخصية المؤلف نفسه . ففي هذه المناقشات نجد ان « عواطف الناس » في رأي عمر السامري (هذا الشاب العجيب !) « عبث وسخافة ! » وان المراة «مجموعة من الخطوط والكتل » في راي الرسام فارس ، وانه لن يشتري عقلها « بفلسين ! » ويقول امين ـ البطل ـ ان جسد المراة بالنسبة اليها هو « الكل في الكل ... تحمله معها اينما ذهبت كحمل ثمين ، لكي تنزله في النهاية في فراش احد الرجال .. » ثم ينتقل الحديث الى التقدم الالي ، ويعتبر عمر توفر الالات الكهربائية في الغرب والخدم في الشرق قد احدث فراغا في حيــاة ربات البيوت . « والفراغ عدو الله ! » ... « انه من ملحقات الثروة والتقدم ... » ويدعي فارس انه من دعاة التقدم الالي ، لانه حينما يفتقد المرء التقدم الالي يجد الفقر والقذارة . ومكافحة المرء لفقره تشغله عن جسده ... »

انها اراء ربما تبدو غريبة للوهلة الاولى ، ولكن عندما نرجعها الى اصلها الايديولوجي المنعكس عن وضع الطبقة الوسطى وحالة مثقفيها في المجتمع ، لم نستغربها . فالاحاديث كلها تدور حول عالم هذه الطبقة بالـذات ـ الجنس ، والفراغ ، والضجر ... على انها من مآثر الحضارة الراهنة ! ذلك ان الطبقة الوسطى طبقة يائسة ، ضجرة من الحياة ، طبقة عديمة المستقبل . وقد عبر البطل ـ امين ـ عن يأسها بهذه الكلمات « كان يأسنا يزداد عمقا يوما اثر يوم ، دون ان نفهمه بالضبط ، ولكنه مع ذلك يأس له اسبابه في كل منا ، وان لم نستطع تشريحه وتفصيله بدقة ... »

والخلاصة ان هذه النظرة الحائرة اليائسة ، تنبيء عن فكر لا يؤمن بقيمة كفاح الانسان ، وبمستقبل الانسان . ولذا ولد بطل القصة شخصا سلبيا ليس فيه ذرة من عنصر الكفاح .

ان نظرة المؤلف الى الحياة ونظرته الى الفن قد تمازجتا بانسجام مدهش في هذه القصة . ولعلني استطيع ان اقول انه « الانسجام » الوحيد فيها .

بغداد — عبد الملك نوري

احلام الشباب

لفاضل خلف – مجموعة قصص – ١٠٨ صفحة
منشورات مكتب الكويت

عرفت الاديب الكويتي الاستاذ فاضل خلف منذ اكثر من عشر سنوات ، وتبادلت معه كثيرا من الرسائل الودية ، واشهد ان رسائله كانت تنبض بفيض من الاطلاع والفهم الدقيق ، وكان يوافيني بما ينشره في صحف الكويت من مقالات واقاصيص ، فكنت استبشر بانتاجه واتفاءل له بمستقبل ادبي زاهر .

ومنذ ايام حمل الي البريد كتابه احلام الشباب وهو مجموعة قصصية نشرها في الصحف الكويتية والصحف العربية خارج الكويت .

في هذه المجموعة اقاصيص منوعة منها قصص اجتماعية مستوحاة من البيئة الكويتية ، وكثيرا ما تقع حوادثها في البيئة العربية خارج الكويت . فقصة (حنان ام) قصة الحماة القاسية التي تسيم زوجة ابنها وتحاول جهدها اخضاع كنتها تحت سيطرتها ظلما وعدوانا ، وقصة (حضرة المدير) قصة شاب مكافح يشتغل موظفا في احدى الدوائر الحكومية ، وبدلا من ان يكافأ ويرقى اذا به يفاجأ بتنزيله الى وظيفة حقيرة من قبل مدير الدائرة .

اما قصة (سر المطلقة) فهي مشكلة طالما عالجها المخلصون من كتابنا وقصاصينا . هذه المطلقة الشابة تزوج الى شيخ كبير طاعن في السن لا ينسجم مع احاسيسها ومشاعرها ، فلا تلبث ان تصطدم بالواقع المرير . وقصة (التميمة) قصة المشعوذين المنبثين بين اظهرنا ينفثون سمومهم في المجتمع، ويبتزون دريهمات السذج الكادحين الذين لا يجدون الدرهم الا بشق النفس . وقصة (الشبح) تحاول ازالة كل اثر للخوف الذي يسيطر على عقول البسطاء من الناس ، وكيف فضح شاب نشيط الاعيب الذين يشيعون هذه الخرافات بين الناس .

اما قصة (نزوة) فهي قصة الشاب الحائر الذي يحلم بالحياة الزوجية السعيدة ويرسم صورة مثالية لزوجته المنتظرة فاذا به يصاب بخيبة امل تشيع في نفسه اليأس . وقصة (ام جاسم وكنتها) قصة تشبه الى حد ما قصة (حنان ام) الى انها تختلف هذه المرة في ان الكنة تعاكس حماتها هي الاخرى وتخترع حيلة شيطانية لقهر حماتها .

هذا عرض موجز للاقاصيص الاجتماعية التي يعج المجتمع العربي بحوادثها المضطربة . وفي المجموعة ثلاث اقاصيص مترجمة عن اللغة الانجليزية تدل على براعة المؤلف في الترجمة القصصية . ومعرفة احدى اللغات الاجنبية ضرورية جدا لكاتب القصة ، وارجو ان يكثر المؤلف من قراءة القصص الاجنبية لكي يستطيع متابعة كتابة القصة التي اصبح لها القدح المعلى في الوقت الحاضر .

وفي المجموعة قصص من التاريخ كقصة (من نكبات الدهر) وقصة (البعث) وقد اثبت المؤلف براعته في عرض الحوادث التاريخية باسلوب جذاب . وبعد هل هذا الكتاب ليس فيه ماخذ ناخذه على المؤلف ؟ كلا ! فقد تعرض المؤلف الى جملة اخطاء في مجموعته هذه اجملها في النقاط التالية :

في قصة (عاصفة في قلب) يصف المؤلف حياة عامل بسيط يتقاضى مائة روبية شهريا وكيف تحاول زوجته معاكسته وترهقه بطلباتها الكثيرة ثم تطلب منه عباءة حريرية فيضطرب ويطرق الابواب عل احدا يقرضه ثلاثين روبية ، فيحصل عليها بعد جهد جهيد ، ويسرع الى زوجته بالعباءة فتمطره بوابل من شتائمها وسبابها وتلقي العباءة في التنور . كنا نريد من المؤلف ان يترفق بهذا الشاب ، ويترفق بزوجته وينهي قصته بنهاية هادئة ، تعترف الزوجة بخطئها ولا تعود الى مضايقاتها السابقة بعد ان لاقى الزوج كثيرا من المهانة في الحصول على قيمة العباءة . اما ان تلقي الزوجة العباءة في التنور (وان كانت ليست من الحرير الذي طلبته) ففيه ماخذ فني كنا نود ان يتجنبه .

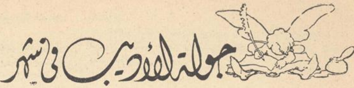
في الكتاب بعض الاخطاء اللغوية والمطبعية ، اما الاخطاء اللغوية فالمسؤول عنها المؤلف اذ كان عليه ان لا يدفع الكتاب الى المطبعة قبل تصحيح جميع الاخطاء فيه ؛ مثلا تانيث المؤلف لكلمة (لجوج) بينما هي صفة على وزن فعول لا تلحقها تاء المؤنث ، واما الاخطاء المطبعية فالمسؤول عنها ناشر الكتاب الذي طبع الكتاب ولم يعتن بطبعه العناية المرجوة في مثل هذه المجموعة القصصية ، مما ذهب ببعض رونقها .

اورد المؤلف في المجموعة قصتين اجنبيتين هما (المؤامرة) و (الانتقام الرهيب) وقد قصهما على المؤلف شابان الاول امريكي والثاني انجليزي . كنا نريد بدلا من هاتين القصتين – قصتين اجتماعيتين من البيئة العربية التي تحتاج الى مزيد من الجهود لمعالجة الاوضاع فيها .

قصة (السهم الاخير) قصة باكية دامعة وكذلك قصة (من وراء حجاب) كنا نود ان تخلو منهما المجموعة لان عهد القصص الباكية اصبح في حكم العدم .

هذه هي ملاحظاتي على الكتاب، راجيا ان يعتني المؤلف بكتابه هذا في الطبعة الثانية لكي ينال ما ينتظره من رواج وذيوع في الاوساط الادبية في بلاد العرب . وننتظر من الاستاذ فاضل خلف . ان يوالي نشر اقاصيصه في الصحف العربية بعد ان فتر نشاطه نسبيا في الاونة الاخيرة .

بغداد — عبد الله عباس المحامي



الترجمـة والتفـاهم بـين الشعـوب

●

تتولى جماعة المترجمين الدولية في الوقت الحاضر ضم جماعات من المترجمين المحترفين في ١٢ دولة ، مستعينة في ذلك بمنظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) . وقد اعلنت اخيرا قرب ظهور مجلتها الشهرية التي اطلقت عليها اسم «بابل» ، والتي ستضم من المواد ما يطلع المترجمين في جميع انحاء العالم على احدث التطورات في مهنتهم ويزود عامة القراء باحدث المعلومات عن نشر المعارف وتبادل الثقافة.

وقد لعبت الترجمة دورا هاما في نقل المعلومات والافكار خلال عصور التاريخ ، بل كان لها اثر عميق في اداب البلاد المختلفة وحضاراتها . ففي القرن الخامس مثلا اضطرت جماعة من رجال الفكر السوريين المقيمين في اليونان الى ترك البلاد واللجوء الى بلاد الفرس ، وهناك كرسوا وقتهم في ترجمة الاعمال اليونانية الهـامة في العلم والفلسفة الى اللغتين السورية والفارسيـة .

كما كان السوريون يعملون كمترجمين للعلم اليوناني عند العـرب وبهذا العمل مهدوا لعصر النهضـة الذي كان لـه تـاثير عميق في التفكير الغربي . فالاعمال اليونانية القديمة عادت الى اوروبا من جديد عن طريق العالـم الاسلامي بعد ان فقـدت على اثـر سقـوط رومـا وصـراع البيزنطيين الديني . وكانت هذه الاعمال في حاجة الى الترجمـة مـن جديد فتاسست لهذا الغرض مدرسة المترجمين المشهودة في توليدو منذ ثمانية قرون خلت.

وقد ضمت مدرسة توليدو رجالا مختلفين من مختلف الاجنـاس والاديان ، فكان يعمل بهـا اسبان كاثوليك ويهود وانجليز وايطـاليـون وغير هؤلاء وهؤلاء . وعن طريقهم عرف الغرب من جديد اعمال ارسطـو وغيره من فلاسفة اليونان . وقد ساعدت ترجماتهم على تعديل علوم الفلك والطب والرياضة وغيرها من العلوم السائدة في ذلك العصر ، وكان لكـل هذه الترجمات اثرها العميق في اداب اوروبا وفلسفاتهـا .

واخذت الترجمة تسير بعدئذ قدما في طريقها ، واصبح كل قـرن وكل بلد يشعر بمدى نفوذها . فكلما نما ادب وتطور في بلاد يندراستعمال لغتهـا خارج حدودها القومية زادت قيمة المترجمين واهميتهم .

وعـن طريق الترجمة وحدها عرفت اوروبا كبار القصصيين فـي روسيـا ، وعن طريق ترجمة ابسـن انبعثت الثورة في اساليب المسرح الاوروبي الحديث. واليوم اصبح عمل المترجم ابلغ اهمية من ذي قبـل فهو يستطيع ان يقوم بدور حساس في خلق التفاهم الدولي عن طريق تبادل الافكار والمعلومات .

ولهذا الغرض نفسه تشرف اليونسكو على ترجمة اهم الاعمـال الادبية الى مختلف اللغات رغبة منها في مساعدة الشعوب في الشرق والغرب على السواء على ان يقفوا على العوامل المشتركة بين الحضارتين وان يدركوا ان التباين الثقافي ليس في ذاته الا مسالة تفسير فحسب . وليست اليونسكو وحدها تقوم بهذا العمل ، وانما تسير اعمـال الترجمة خطوات واسعة في دول كثيرة . ففي بورتوريكو تتولى الجامعة نشر الاجزاء الاربعة الاولى لعمل ضخم اطلقت عليه اسم « المكتبة الثقافية الاساسية » يضم اعمـال ديكـارت وميكيافيللي وشكسبير وغيرهم .

وفي مصر انشات الحكومة الحاضرة لجنة باشراف الدكتور طـه حسين لتنظيم ترجمة اعمال شيكسبير وغيرهم من ادباء الغرب الى اللغة العربيـة .

وفي روسيـا ترجمت جميع اعمـال المؤلفين المعاصرين امثال فولكنر وهمنجواي وموریاك الى اللغة الروسية وغيرها من اللغات القومية التـي تتحدث بها شعوب جمهوريات الاتحاد السوفييتي .

ان اعمال ابن رشد وابن سينـا وديموقريطس وارسموس وسرفانتيس وشيكسبير لـم تعد حبيسة في قماقم لغاتها الاصلية ، بل اصبحت عـن طريق الترجمة في متناول شعوب العالم جميعا ، على اختلاف لغـاتهم واجناسهم واذواقهم . وهكـذا تلعب الترجمة دورهـا الكبير في دعـم التفاهم بين الشعوب ، وبالتالي في ارساء السلام العالمي علـى اسـس واعيـة حكيمة .

معلومـات عـن مسجـد المدينـة المنـورة

●

تضمنت نشرة مكتب الصحافة والنشر السعودي في لبنان البيانات التالية عن مسجد المدينة المنورة وذلك بمناسبة الاحتفال بتوسيعه اخيرا :

كانت مساحة المسجد النبوي الشريف حينما بناه النبي (صلعم) ٢٤٧٥ مترا مربعا . ثم زادها امير المؤمنين عمر بن الخطاب ١١٠٠ متر مربـع ثم تلاه امير المؤمنين عثمـان بن عفان فزادها ٤٩٦ متر مربعا .

اما زيادة الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك فكانت ٢٣٦٩ متـرا مربعا ثم جـاء الخليفة العباسي المهدي فزادها ٢٤٥٠ مترا مربعـا . وتلاه في الزيادة الملك الاشرف قائت باي فزادها ١٢٥ مترا مربعا ثم زادها السلطان عبد الحميد العثماني ١٢٩٣ مترا مربعا وقد كانت المسـاحة الكلية للمسجد النبوي قبل التوسعة ١٠٣٠٣ امتار مربعة فاصبحت بعد الزيادة التي بدأ بها الملك عبد العزيز رحمه الله والتي اتمها الملك سعود ١٦٣٢٧ اي بزيادة ٦٠٢٤ مترا مربعا . وقد شملت العمارة السعودية الاجزاء القديمة التي هدمت واعيد تعميرها من الجهات الثـلاث . وقـد بنى الملـك سعود اربعة احجار بيده في احدى زوايا الجدار الغربي في المسجـد .

وقد بلغت مساحة الاراضي للدور والاملاك التي انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين التي حول المسجد النبوي الشريف ٢٢٩٥٥ مترا مسطحا . وقد انشىء من اجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الاحجار الصناعية «الموازييك» وزود بالادوات الميكانيكية واختير له مكان فـي منطقة ابيار علي ، وجلب له مهنـدسون مختصون وعمـل باشرافهـم اكثر مـن اربعمائة شخص .

وقد عمل في المسجد الشريف اربعة عشر مهندسا منهم اثنا عشر مصريا وواحد مـن سوريا واخر من باكستان وعمل باشرافهم اكثـر من مائتي صانع مصري وسوري وعدد من الباكستانيين والسوريين والسودانيين

واليمنيين والحضارمة كما عمل معهم اكثر من الف وخمسمائة عامل سعودي .

وقد بلغ عدد الالات المستعملة اربعين قطعة واستعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التي تحمل الاخشاب والحديد والاسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة الشريفة ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة .

وقد رست في ميناء ينبع اكثر من ثلاثين باخرة جاءت خصيصا بمواد بناء الحرم الشريف وبلغ مجموع ما افرغته هذه البواخر في الميناء ما يزيد على ثلاثين الف طن من الحديد والاسمنت والاخشاب والمواد المختلفة .

يبلغ عدد الاعمدة المحيطة بالجدار الغربي ٤٧٤ عامودا مربعا وعدد الاعمدة المستديرة في العمارة الجديدة ٢٣٢ عمودا مستديرا وطول الجدار الغربي ١٢٨ مترا وطول الجدار الشرقي ١٢٨ مترا وطول الشرقي ١٢٨ مترا وطول الجدار الشمالي ٩١ مترا اما البواكي الشمالية فخمس والبواكي الوسطى ثلاث والغربية ثلاث والابواب الجديدة تسعة . اما الحصاوى فاثنتان .

وتتكون العمارة الحديثة من أربع واربعين نافذة وعمق الاساسات للجدران و لاعمدة سبعة عشر مترا وارتفاعهما خمسة امتار الماذنتان عمقهما سبعون مترا .

مجموعة فلسطينية

في اخر عام ١٩٥٤ اصدرت منشورات اكادمية العلوم السوفياتية « مجموعة فلسطينية » تضمنت اعمالا علمية لاعضاء الجمعية الفلسطينية الروسية التي تاسست في الاعوام الثمانين من القرن الماضي .

ان مهمة المجموعة الفلسطينية هي نشر المحاولات العلمية حول تاريخ بلدان الشرق الادنى واقتصادها ولغات واداب وفنون شعوبها وكذلك نشر معلومات عن احدث المكتشفات الاثرية ، ومصادر ومخطوطات لم تنشر من قبل .

تبدأ المجموعة بمقال كتبه الاكاديمي ف «ستروفي حول مسالة عويصة من تاريخ مصر واخبارها : الثورة المصرية في السنة الاولى من ملك داريوس الاول . فالكاتب يستعين بشهادات عديدة لينتهي الى القول بان الاضطرابات التي قامت على الفرس في مختلف اجزاء مصر في مطلع هذا الملك لم تكن مترابطة فيما بينها . «والاضطرابات» التي يتكلم عنها الامير اودزاخوريزانت في كتابة على تمثال ، كانت ضئيلة جدا وقد قمعها ارياند مرزبان داريوس . الا ان الملك لم يعلق على هذا الحدث اهمية كبيرة ، فهو قد اهمل ذكره في كتابة بيسهستون الخاصة بالاضطرابات ، وذلك ميلا منه الى تحاشي انتقاده بالمبالغة في شان فتوحاته ومآتيه . والتحليل الدقيق . وطول الباع وخاصة فيما يتصل بالعهد التاريخي لهذه المسالة يجعلان استنتاجات الاكاديمي ف . ستروفي مقنعة .

وفي مقال عنوانه « اقدم شرائع ما بين النهرين » يتحدث ل . ليبين عن اثر من اثار التشريع البابلي شرائع بيلالاما ملك مدينة اشنونة (اكتشف مؤخرا في العراق) . وبعد ان يحلل الكاتب هذه الوثيقة تحليلا لغويا وتاريخيا تاما يخلص الى استنتاجات ممتعة .

فهو يعارض عدة علماء اجانب درسوا هذه الشرائع وخاصة المنقبين الانكليزيين ماياز وغورناي ويثبت بشكل مقنع ان اللوحات التي كتبت عليها هذه النصوص هي نسخات قوانين اصلية كان العدل يقام بموجبها في مملكة اشنونة (القرن العشرين قبل الميلاد) .

ويثبت كذلك امرا هاما : تلاشي نظام المشاعية البدائية من دولة اشنونة ونشوء الملكية الفردية (الكبيرة والصغيرة) كأساس راسخ لنظام جديد عبودي . وقد ابان ليبين ان عدد العبيد كان قد ازداد كثيرا بالقياس الى العهد السابق («السلالة الثالثة من ملوك اور») وان نطاق استخدامهم قد اتسع . ويستنتج الكاتب من التدابير الصارمة التي نصت عليها شرائع بيلالاما بحق العبيد الفارين ان عدد العبيد الذين كانوا يفرون في هذه المرحلة التاريخية كان كبيرا .

ويعتبر ليبين (وثمة كل ما يدعو الى الاخذ بهذا الاعتبار) انه رغم وجود بقايا قوية من نظام الامومة في بابل ، عند ملتقى الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، فان الاسرة ، حسب شرائع اشنونة ، كانت قد اتخذت طابعا ابويا ظاهرا بوضوح .

وينشر الكاتب بالاضافة الى مقاله ترجمة للشرائع المذكورة تستند الى احدث المعطيات وتصحبها تعليقات لغوية تاريخية .

ونشرت ن . بيغو ليفسكايا ، العضوة المراسلة ، لاكادمية العلوم في الاتحاد السوفياتي في المجموعة « مخطوطة يونانية سريانية عربية من

القرن التاسع » ، وهو نص في غاية الندرة بثلاث لغات ، يتضمن مقتطفات من المزامير . وهذه المخطوطة المكتشفة لاكثر من ١٠٠ سنة في دير القديس سابا (قرب القدس) هي محفوظة في مكتبة لينين العامة بموسكو . وهي مكتوبة على ثلاثة اعمدة تتقابل كلمة كلمة ، الامر الذي يتيح امكانية كاملة للتحقق من النص في اللغات الثلاث في آن واحد . وبما ان كتاب المزامير كان اول كتاب مدرسي في العصور الوسطى ، فبالامكان القول ان غاية هذه المخطوطة كانت المساعدة في دراسات لغات اخرى ومنها العربية . وان ما يشير الى ان النص المذكور قد كتب في دير القديس سابا في النصف الثاني من القرن التاسع هو تشابه عموده اليوناني مع مخطوطة كتاب مزامير اوسبانسكي (٨٦٢) المكتشفة في طبريا ، وتشابه عموده العربي مع مخطوطة مكتشفة في الدير ذاته تعود الى عام ٨٩٢ . وتشهد المخطوطة التي نشرت في المجموعة على علو شان لغة الكتابة ودراسة النصوص في الشرق الادنى في القرن التاسع .

وقد نشرت الى جانب المقال نسخ فوتوغرافية عن المخطوطة .

ان المخطوطة المكتشفة التي نشرتها ن. بيغوليفسكايا هي ذات اهمية كبيرة في دراسة تاريخ شعوب الشرق الادنى ولغاتها وآدابها .

اما المقالات الاخيرة في المجموعة فهي مكرسة للمرحوم الاكاديمي ا. كراتشكوفسكي ، الذي كان نائبا لرئيس الجمعية الفلسطينية . وقد كتب تلميذاه بيليابيف وفينيكوف بحثا علميا عن هذا المستعرب الروسي وعن حياته . وكتبت الاساتذة ف. كراتشكوفسكايا ، ارملة الاكاديمي ، بالاستناد الى مذكرات هذا العالم ورسائله ، مقالا عن اقامته في فلسطين حيث درس اللغة العربية العامية وآداب العرب وفنونهم الشعبية . وارفق المقال بفهرس عن آخر الاعمال والرسائل العلمية التي قام بها ا. كراتشكوفسكي .

قد ترتوي القدس من بئر ايوب

●

ينهمك مهندسو النقطة الرابعة في الاردن الآن بمراجعة الوثائق والسجلات التاريخية القديمة بغية زيادة كمية المياه التي تستهلكها القدس العربية ، والتي لا تكاد تفي بحاجتها كاملة . فقد وجدت المدينة القديمة — بعد اتفاقية الهدنة التي عقدت عن طريق الامم المتحدة عام ١٩٤٩ ، وما تلاها من تحديد خط الهدنة — انها اصبحت بمعزل عن مواردها المائية .

ومنذ ذلك الحين ، والقدس العربية تستمد حاجتها من المياه من بركة في وادي عين فارة . ويعتقد كثير من المؤرخين ان هذا الوادي ، بمراعيه الخضر ومياهه الساكنة ، هو « وادي ظلال الموت » نفسه الذي ورد وصفه في كتابات الملك داود .

وفي المدة الاخيرة ، طلب الحاج عمر الوعري ، رئيس بلدية القدس السابق ، مساعدة النقطة الرابعة في مشروع لسد النقص في حاجة سكان القدس القديمة من الماء ، وخاصة في ايام الصيف عندما يشح وجوده .

واستجابة لهذا الطلب ، عمد مهندسو النقطة الرابعة الى اقامة مضخة تجريبية على بئر ايوب في وادي شعفاط عند اسفل السور الحجري الذي يحيط بمدينة القدس القديمة . وتقول الاسطورة التي يتناقلها اهالي قرية سلوان ان النبي ايوب كان يتردد على هذه البئر ليغسل بمائها قروحه وبثوره الكثيرة ، وان البئر عرفت ، لهذا السبب ، باسم ذلك الرجل الذي تغرب بصبره الامثال ...

اما المؤرخون ، فمنهم من يعتقد ان اسم البئر مشتق من التاريخ الاسلامي ، وليس من التاريخ اليهودي او المسيحي . فتنسبه بعضهم الى السلطان صلاح الدين الايوبي ، الذي عرف عنه اهتمامه باجراء الماء حتى لقد وصف بـ « معطي الماء » . وليس ببعيد ان يكون صلاح الدين قد اطلق اسم ابيه — ايوب — على البئر التي زود بها اهل القدس بالماء ...

وتقول مصادر التاريخ ايضا ان السيد المسيح ذهب من القدس قبل صلبه بايام ومعه تلاميذه عبر « جدول قدرون » الى بستان (الجسمانية) حيث قام بصلواته .

وتدل الحفريات التي اجريت حوالي سنة ١٨٦٠ ان جدول «قدرون» — وادي شعفاط — لم يمر اطلاقا ولم يتصل ببئر ايوب ، ولكنه كان ولا يزال « سيلا » شتويا يجف ماؤه في الصيف .

وقد اكدت تجارب النقطة الرابعة الحالية هذه النتائج ، وظهر ان بئر ايوب تستمد ماءها من نبع متدفق تحت البئر . كما اثبتت التجارب ايضا انه يمكن للبئر ان تزود القدس العربية باكثر من ١٠٠ جالون من الماء في الدقيقة الواحدة ، لسد حاجة السكان العرب من الماء . وقد وضع لهذا الغرض مشروع تقوم البلدية على تنفيذه يقضي بانشاء مضخة دائمة على البئر ، وخزان للماء بالقرب منها .

اما الهيئات التي تستهلك كميات كبيرة من الماء في منطقة القدس ، كالجيش العربي ، فستحصل على حاجتها من الماء من المخزون في وادي شعفاط بدلا من موارد البلدية .



١٩ ـ كلف مجلس الوصاية على عرش مراكش السيد فاطمي بن سليمان باشا فاس السابق بتأليف الوزارة المراكشية .

٢٠ ـ وصلت الى مصر من الصين الشعبية شحنة كبيرة من الاسلحة .

٢١ ـ اعلن في لندن ان الحكومة البريطانية ستشحن الى العراق عتادا حربيا ثقيلا يحتوي على طائرات نفاثة ومدافع ثقيلة ودبابات وذلك بموجب اتفاق حلف بغداد .

ـ قررت الحكومة الفرنسية ان تدعو الى اجراء الانتخابات العامة في البلاد في النصف الاول من شهر ديسمبر القادم .

٢٢ ـ اذاعت وزارة الخارجية الامريكية نصوص وثائق المحادثات التي دارت بين الرئيس ايزنهاور ورؤساء الدول الكبرى في مؤتمر جنيف وقد جاء فيها ان ايزنهاور اعطى الضمانات لبولغانين بان الولايات المتحدة لن تشترك بحال من الاحوال في حرب عدوانية ولا يمكن للحكومة اعلان الحرب فهو لا يتم الا بقرار من مجلس الكونجرس وبعد اجراء مناقشات وتصويت .

ـ صدر في القاهرة ودمشق بلاغ مشترك يعلن نبا التوقيع على الاتفاق العسكري المصري السوري . وهذا الاتفاق ينص على توحيد الاغراض الدفاعية وانشاء جهاز عسكري موحد مع قيادة موحدة تتولى تدريب القوات المسلحة واقامة منشآت الدفاع وتمويلها .

ـ وصلت الى مصر اول شحنة من الاسلحة التشيكوسلوفاكية .

٢٣ ـ وقع اعتداء اسرائيلي على الحدود السورية ذهب ضحيته ضابط وعدة جنود .

٢٤ ـ ظهر من الاستفتاء الشعبي الذي جرى امس في منطقة السار على مشروع الدستور الجديد الذي تدعمه فرنسا والذي يجعل السار منطقة اوروبية ان الاكثرية رفضت المشروع وتمسكت بان السار جزء من المانيا وقد استقال رئيس وزراء السار .

ـ ضربت المراكز السورية مستعمرة « بن جيف » وصرح ناطق بلسان هيئة الرقابة الدولية بان الموقف على الحدود السورية الاسرائيلية بات خطرا جدا . وقد وصل الى دمشق الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين ثم غادرها الى نيويورك .

٢٥ ـ طالب الجلاوي باشا مراكش بوجوب اعادة السلطان محمد بن يوسف الى العرش . وقد رفض حزب الاستقلال دعوة السيد فاطمي بن سليمان للاشتراك في حكومته .

ـ اجتمع وزراء خارجية دول الحلف الاطلسي الخمس عشرة في باريس للاطلاع على خطط الغرب التي سيقدمها الى الاتحاد السوفييتي في مؤتمر جنيف .

٢٦ ـ اعلن السير انطوني ايدن رئيس الحكومة البريطانية ان ميليشيا سلطنة عمان وامارة مسقط التي يشرف عليها ضباط بريطانيون قد احتلت واحة البريمي التي تحتلها منذ عامين القوات السعودية . وقد اقرت الحكومة البريطانية هذا الاحتلال بالاتفاق مع حاكم مشيخة ابو ظبي التي تحميها بريطانيا . ويشاع بان واحة البريمي تختزن في جوفها ينابيع بترولية وافرة .

ـ تجددت الاشتباكات على نطاق خطير بين مصر واسرائيل وادت الى حركات قوات في منطقة العوجا المجردة من السلاح . وقام المصريون بخطوة حازمة في الرد على التحدي .

٢٧ ـ صدر بلاغ مشترك عن حكومتي المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر يشير الى انه قد تم توقيع ميثاق عسكري للدفاع المشترك بين الدولتين . ويشير البلاغ الى انشاء مجلس اعلى ومجلس حربي وقيادة مشتركة .

ـ افتتح في جنيف مؤتمر وزراء خارجية الدول الاربع الكبرى تنفيذا لتوصيات الاقطاب الاربعة الذين اجتمعوا في يوليو الماضي وطلبوا الى وزراء خارجيتهم العثور على وسائل عملية لاقرار السلم العالمي . والنقطة الاولى في جدول الاعمال تتعلق ببحث توحيد المانيا ، والامن الاوروبي ، وستبحث على هامش المؤتمر مسائل الشرق الاوسط .

٢٩ ـ قدمت المملكة العربية السعودية شكوى الى هيئة الامم ضد بريطانيا لاحتلالها واحة البريمي بواسطة القوة المسلحة . كما قدمت مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة البريطانية .

٣٠ ـ اصدر محمد بن عرفه سلطان مراكش الذي ترك العرش لمجلس الوصاية ، تنازله عن اي حق بالعرش الى السلطان محمد بن يوسف .

٣١ ـ وصل الى فرنسا سلطان مراكش سيدي محمد بن يوسف عائدا من جزيرة مدغسكر حيث قضى سنتين في المنفى .

ـ تم في القاهرة التوقيع على معاهدة صداقة بين اليمن والاتحاد السوفياتي .

ـ ابلغ وزير الخارجية العراقية الحكومة السورية ان العراق يرحب بعد دراسته للاتفاقيات الثنائية بين مصر والعربية السعودية باجراء مفاوضات تستهدف عقد مثل هذه الاتفاقيات مع كل من سورية ولبنان .

اول نوفمبر ١٩٥٥ ـ شهدت اثينا اعنف مظاهرة ضد البريطانيين والامريكيين بشأن الموقف في قبرص .

ـ اجتمع المستر دالس ناظر الخارجية الامريكية الى الجنرال فرنكو في زيارته الرسمية لاسبانيا وبحث معه موضوع الدفاع الاوروبي وأمن حوض البحر الابيض المتوسط .

ـ رفعت وزارة الخارجية الامريكية القيود المفروضة على سفر الامريكيين الى الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ورومانيا وتبقى القيود مفروضة على السفر الى الصين الشعبية وشمال كوريا وفيتنام والمانيا وبلغاريا .

٢ ـ رفع مجلس الوصاية على العرش المراكشي استقالته الى السلطان محمد بن يوسف . وقد اعلن جلالته في بيان رسمي انه يتبنى سياسة الاصلاح التي رسمتها فرنسا في مراكش وانه يتوقع ازدهار البلاد في عهدها الجديد وتمتعها بحريتها واستقلالها .

٣ ـ وصل رئيس الجمهورية التركية جلال بايار الى عمان في زيارة رسمية للاردن .

ـ هاجم لواء كامل من القوات الاسرائيلية تعززه مختلف انواع المدفعية سرية مشاة من الجيش المصري في موقع صبحة بالاراضي المصرية . وقام الجيش المصري بهجوم معاكس فاسترد الموقع واسفرت الموقعة عن مقتل ٢٠٤ من اليهود واسر عشرات الجنود وبلغت الخسائر المصرية ٧ قتيلا ومفقودا .

٤ ـ قرر مجلس الوزراء الفرنسي اعادة السلطان محمد بن يوسف الى عرش مراكش .

٥ ـ اعلن جلال بايار رئيس جمهورية تركية استعداد تركية لمؤازرة الاردن ضد كل اعتداء .

٦ ـ اعلنت الحكومة المصرية انها تسلمت من الجنرال بيرنز كبير المراقبين الدوليين الذي قدم من امريكا بعد اجتماعه الى سكرتير الامم المتحدة تسلمت المقترحات الجديدة لتخفيف حدة التوتر في منطقة العوجا .

ـ احتفل بالذكرى الثامنة والثلاثين للثورة في موسكو وقد اكد الماريشال جوكوف في خطابه ان الاتحاد يحبذ التعايش السلمي .

٧ ـ ارسلت الحكومة السوفييتية مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة العراقية تطلب منها التوقف عن بناء القواعد الحربية لانها تعتبرها موجهة ضد الاتحاد السوفياتي .

٨ ـ وصل السيد سعيد الغزي رئيس الوزارة السورية الى القاهرة يرافقه وزير الدفاع السوري .

٩ ـ عقد مجلس الدفاع الاعلى لميثاق الدفاع المشترك السوري المصري اجتماعه الاول بالقاهرة .

١٠ ـ استقال السيد اسماعيل الازهري رئيس الوزارة السودانية .